المحاضرة الأولى

تعريف الخُلُق و طبيعته ومكانته في الإسلام

أولاً- تعريف الخُلُق:

الخُلُق لغة: الطبع والسجية. أي ما جُبِل عليه الإنسان من الطَّبع. وهو يمثل صورة الإنسان الباطنة، التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها. كما أن الخَلْق يمثل صورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.

واصطلاحاً: حالٌ للنفس راسخةٌ تصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شرٍ من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ.() وبهذا المعنى ورد قول الله سبحانه في مدح نبيه محمد ﷺ: {وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم}.

وقد يطلق الخُلُق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل. وبهذا المعنى ورد قول الرسول ﷺ : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).

شرح التعريف وتوضيحه :

يُقصد بـ (الحال) : الهيئة والصفة للنفس الإنسانية.

و (راسخة) : أي ثابتة بعمق. وهو ما يعني أن الأفعال تتكرر من صاحبها على نسق واحد حتى تصبح عادة مستقرة لديه. ومن ثمَّ كان مَنْ ينفق المال مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على المحتاجين لا يوصف بخلق السخاء والجود, بل لابد من تكرره منه بحيث يصبح عادة له. مادة خلق. باب القاف, فصل الخاء. لسان العرب, القاموس المحيط.

و (من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ) : أي من غير تكلف أو مجاهدة نفس , بل بسهولة ويسر وبطريقة تلقائية.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "الخَلْق والخُلُق عبارتان مستعملتان معاً, يقال: فلانٌ حسنُ الخُلُق والخَلْق. أي: حسن الباطن والظاهر. فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة, ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركبٌ من جسدٍ مدرك بالبصر, ومن روحٍ ونفسٍ مدركٍ بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئةٌ وصورةٌ: إما قبيحةٌ, وإما جميلةٌ. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر, ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه, إذ قال تعالى: {إني خالقٌ بشراً من طين, فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين, والروح إلى رب العالمين, والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد"().

ثانياً- موضوع علم الأخلاق:

يبحث علم الأخلاق في الأحكام القيمية المتعلقة بالأعمال التي توصف **بالخير أو الشر**, أو توصف **بالحسن أو القبح**, وهذا ما **يميز الأخلاق عن الغرائز والدوافع**؛ لأن **الغرائز والدوافع هي الحاجات التي فطر الله الإنسان عليها** كحاجته للأكل والشرب والنكاح والنوم... وهي أشياء لا تستوجب لصاحبها مدحاً ولا ذماً, ولا ثواباً ولا عقاباً, فإن مُدح الإنسان أو ذُم على شيء من ذلك, كان المقصود ليس نفس الفعل, وإنما طريقة صاحبه في تلبية تلك الحاجة, أو إشباع تلك الرغبة. فمن يأكل لا يمدح ولا يذم على فعله ذاك, وإنما يمدح إن أكل مما يليه وبهدوءٍ, ومضغ الطعام جيداً, وبدأ باسم الله, وانتهى بحمد الله, فهذا يحمد على فعله هذا, بخلاف من أكل بشراهة, وأدخل اللقمة على اللقمة, وجالت يده في القصعة ... فإنه يذم على فعله ذاك.

ثالثاً- أقسام الخلق:

يمكن **تقسيم الخُلُق إلى قسمين** اثنين باعتبارين مختلفين:

- أولهما **باعتبار الفطرة والاكتساب**: وبهذا الاعتبار **ينقسم** الخلق **إلى** نوعين :

أخلاق فطرية : جُبِلَ الإنسانُ عليها أي هي هبة ومنحة من الله تعالى, وليس للإنسان أي دور في اكتسابها. مثال ذلك قول النبي ﷺ لأشج عبد القيس المنذر بن عائذ وكان وافد عبد القيس وقائدهم ورئيسهم - وعبد القيس قبيلة- (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم, والأناة) فقال: أشيءٌ جُبِلتُ عليه, أم شيءٌ حدث لي؟ فقال الرسول ﷺ : (بل شيء جبلت عليه). فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحبه الله ورسوله". **قال النووي**: **الحلم هو العقل**. **والأناة هي التثبت وترك العجلة**. وسبب قول النبي ﷺ ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا إلى المدينة بادروا إلى النبي ﷺ وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه

أخلاق مكتسبة : يسعى الإنسان في تحصيلها بالتدريب والممارسة العملية, ومن خلال مجاهدته لنفسه. ومنه قول النبي ﷺ كما في الصحيح: (العلم بالتعلم, والحلم بالتحلم).

- ثانيهما **باعتبار القبول وعدمه شرعا** : وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:
  1) **خلق حسن** : وهو الأدب والفضيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعا.
  2) **خلق سيئ** : وهو سوء الأدب والرذيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعا.

ولقد جاءت دعوته إلى فضائل الأخلاق، قال أسامة بن شريك: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا : من أحب عباد الله تعالى؟ قال: (أحسنهم خلقاً) وحسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالا للمرء للفوز بمحبة رسول الله ﷺ والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول: (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً).

رابعاً: مكانة الأخلاق في الإسلام

يقسم كثير من الباحثين المعاصرين ما جاء به الإسلام من تشريعات وأحكام إلى شعب أربعة هي: **عقائد**, **وعبادات**, **ومعاملات**, **وأخلاق**. وربما قسمها بعضهم إلى ثلاث شعب فدمجوا بين العبادات والمعاملات, فقالوا: عقيدة, وشريعة, وأخلاق. وهذا التقسيم إنما يصح بالنظر إلى الجهة الغالبة في تلك القضايا والمسائل التي تناولتها نصوص الشرع, وإلا فعند التأمل وإنعام النظر نجد أن هذه الشعب الثلاث أو الأربع لا تنفك عن بعضها, وأنها متداخلة متعاضدة كالبنيان يشد بعضها بعضاً. فالأخلاق التي يرد ذكرها في آخر الشعب لا تنفك عن العقيدة والعبادات والمعاملات, وهي في نفس درجاتها ومستوياتها من الأهمية والطلب. بل إنها تمثل جوهر رسالة الإسلام ولب شريعتها، بكل ما تحمله كلمة الأخلاق من عمق وشمول.

وبيان ذلك من وجوه :

- حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة, ووصل فيها إلى أعلى درجات الإلزام، ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء، ثواباً وعقاباً، في الدنيا والآخرة. فالصدق يهدي إلى البر, والبر يهدي إلى الجنة, والكذب يهدي إلى الفجور, والفجور يهدي إلى النار. وامرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها, ولا هي دعتها تأكل من خشاش الأرض. وبغي دخلت الجنة في كلب سقته. والمرء يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم لا يفطر, والقائم لا يفتر. ...

- بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق أن الله سبحانه حين أثنى على نبيه ﷺ في القرآن الكريم اختار الثناء عليه من جهة أخلاقه ليُعلمنا أنه لا أبلغ ولا أرفع من هذه الصفة. فقال تعالى:{وإنك لعلى خلق عظيم}.

- جعل الرسول ﷺ الغاية والهدف من رسالته إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين, فقال فيما يرويه أبو هريرة ﷺ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).

- في باب العقائد نجد أن **الإسلام يضفي على التوحيد صبغة خُلُقية، فيعتبره من باب "العدل" وهو فضيلة خلقية،** كما يعتبر **الشرك من باب "الظلم" وهو رذيلة خلقية**, فيقول سبحانه: {إن الشرك لظلم عظيم} وذاك لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وتوجه بها إلى من لا يستحقها. بل اعتبر القرآن الكريم الكفر بكل أنواعه ظلما، فقال تعالى: {والكافرون هم الظالمون}.

والعبادات الإسلامية الكبرى ذات أهداف أخلاقية جلية منصوص عليها في كتاب الله:

- **الصلاة** هي العبادة **الأهم في حياة المسلم**، لها وظيفة سامية في **تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن الرذائل**. قال تعالى: {وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} وهي كذلك **تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة**. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة}.

- **الزكاة** وهي العبادة التي تلي الصلاة في الأهمية, **وسيلة لتطهير وتزكية النفس**, وهما من الأهمية بمكان في عالم الأخلاق. قال تعالى:{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}.

- **الصيام** يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها، وإدخال صاحبها في سلك المتقين, وهي جماع الأخلاق الإسلامية. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}

- **الحج** تدريب للمسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف الحياة, وضبط الجوارح. قال تعالى: {الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج}.

وفي مجال المال والاقتصاد كان للأخلاق حضورها سواءٌ في ميدان الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك:

- **في مجال الإنتاج** يجب أن تكون السلعة المنتجة نافعة مفيدة, وأما ما كان ضاراً بالناس أو مؤذياً لهم فلا يجوز إنتاجه مهما كان سيجلب لصاحبه من أرباحٍ ماديةٍ. قال تعالى: {يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما}.

- **في مجال التبادل** يحرم الإسلام الاحتكار والغش وكتمان العيب, وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب, واستغلال حاجة الآخرين أو استغلال بساطتهم أو طيشهم لخداعهم ففي الحديث الصحيح: **"لا يحتكر إلا خاطئ"** أي آثم. وفيه أيضاً: "من غش فليس منا". وفيه: **"الحلف الكاذب منفقة للسلعة ممحقة للبركة"**. والتملك، لا يجوز للمسلم أن يتملك

ثروة من طريق خبيث، ولا يحل له أن يأخذ ما ليس له بحق لا بالعدوان ولا بالحيلة . كما لا يحل للمسلم الملك بطريق خبيث، لا يحل له تنمية ملكه بطريق خبيث كذلك . لهذا حرم الله الربا والميسر، وأكل أموال الناس بالباطل، والظلم بكل صوره، والضرر والضرار بكل ألوانه.

- **في مجال التوزيع** أمر بالعدل بين الأولاد في العطية من الوالدين, كما وضع نظاماً دقيقاً في توزيع الميراث, والصدقات المفروضة, والغنائم والفيء والخراج والجزية وعطايا بيت المال. فقال ﷺ: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)

- **في مجال الاستهلاك والإنفاق** أمر الإسلام بالاعتدال والتوسط, والابتعاد عن الترف, والتبذير والإسراف والتقتير. قال تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً}. وقال أيضاً: {**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين**}. ومن هذا الباب **تحريمه لاستعمال أواني الذهب والفضة مطلقاً**، وكذا **تحريمه لبس الذهب والحرير على الرجال**.

- **في مجال السياسة** , ربط الإسلام السياسة بالأخلاق، فرفض كل الأساليب القذرة للوصول إلى الغايات مهما كانت تلك الغايات نبيلة , ورفض مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" وجعله سياسته مبنية على الصدق والرحمة والعدل والإنصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات، وفرض احترام الاتفاقات، والوفاء بالعهود. قال تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء} وقال جل شأنه: {وبعهد الله أوفوا ..} وقال أيضاً {ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}.

- **في مجال الحرب** لم تنفصل سياسة الإسلام عن الأخلاق, بل بقيت كما في السلم مبنية على العدل والرحمة والصدق والوفاء. قال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} , وقال جل في علاه: {ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام، أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب}. وجعل الغاية من الحرب إعلاء كلمة الله, والانتصار للحق والخير. قال تعالى: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان} وقال جل جلاله: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين}. وفي السنة أن النبي ﷺ كان يوصي أصحابه إذا توجهوا للقتال بقوله : "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً) وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم : "ألا يقتلوا شيخا، ولا صبيا، ولا امرأة، وألا يقطعوا شجرا، ولا يهدموا بناءً".

المحاضرة الثانية

أسس الأخلاق في الإسلام

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على 3 أسس هي: الأساس الاعتقادي, والأساس الواقعي والعلمي, ومراعاة الطبيعة الإنسانية

أولاً ـ الأساس الاعتقادي:

ي**تمثل الأساس الاعتقادي للأخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان** هي:

الركن الأول: الإيمان بوجود الله تعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة وهو بكل شيء من الماضي والحاضر والمستقبل عليم, حتى إنه ليعلم ما يدور في خلجات الأنفس من خير أو شر كما قال تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ] {ق:16}

الركن الثاني: إن الله عز وجل منذ أن خلق الإنسان فوق هذه الأرض عرَّفه بنفسه, وعرفه بطريق الخير والشر, وطريق الحق والباطل, من خلال رسالات أوحى بها إلى من اختارهم من أنبيائه ورسله. قال تعالى: [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ, وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ, وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] {البلد:8-10} وقال سبحانه: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا, فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا] {الشمس:8}, ثم إن الله سبحانه قد خلق في الإنسان قدرة لإدراك تلك الحقائق, ونصب دلائل على جميع ذلك في هذه الطبيعة يدركها من تأمل فيها وبحث عنها في ثنايا هذا الكون, قال تعالى: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ] {فصِّلت:53} وبناء على ذلك كلفهم الله سبحانه باتباع الحق والخير, واجتناب الشر والباطل, كما بين واجباتهم تجاه خالقهم, وتجاه المخلوقات الأخرى, وبين لهم المحرمات التي يجب عليهم اجتنابها.

الركن الثالث: هو وجود الحياة بعد الموت, وهذه الحياة إما نعيم وإما جحيم. فالأولى يكافأ بها من اتبع الحق, وفعل الخير واجتنب الشر وما حرمه الله تعالى عليه, والثانية يجازى بها من اتبع الباطل وارتكب ما حرم الله. وهذه وتلك تكون بعد حساب دقيق يقوم به الخالق يوم القيامة, كما قال سبحانه: [إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ] وقال جل جلاله: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ].

إذن فهذه الحياة ميدان عمل واختبار للإنسان لمن يريد الخير, ولمن يريد الشر, قال تعالى: [الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا]{الملك:2}, والحياة الأخرى للحساب والجزاء, قال تعالى: [وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ] {الأنبياء:47}, وقال أيضاً: [اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ] {غافر:17}

وهذا الأساس بهذا المفهوم في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في الإسلام, وهو السند الذي يُعتمدُ عليه في إقامة النظام الخلقي, وفي عملية الالتزام به. **بدون الأساس الاعتقادي تفقد الأخلاق قدسيتها وتأثيرها الكبير في الإنسان**, ولا يمكن أن تطبق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن, إلا إذا اتخذ هذا الأساس في قلوب البشر مكاناً, وآمنوا به إيماناً صادقاً. وليس هذا أساس للسلوك الأخلاقي فحسب, بل كذلك للحياة, إذ **لا معنى للحياة دون وجود هذا الأساس ودون الاعتماد عليه**.

إن الذي يقرأ **كتابات الوجوديين و الملاحدة** الذين **لا يؤمنون بالله ولا باليوم** الآخر يجد أنهم **يعانون من قلق وحيرة واضطراب في أعماق قلوبهم**, ثم **يسعون إلى تعميمه** على البشر كلهم **بدعوى أنه من مستلزمات الوجود الإنساني**, وأن طبيعة الحياة تقتضيه.

وهو ادعاءٌ باطلٌ, بدليل أن غيرهم ممن ليس على شاكلتهم لا يعاني من تلك الظاهرة, ولعله ناتج عن انعدام الإيمان لديهم. والسر فيه أن في طبيعة الحياة الإنسانية جانباً لا يملؤه إلا الإيمان, فمن انعدم لديه الإيمان عانى من الفراغ في هذا الجانب, فأحس بالقلق والاضطراب, وهو ما يدفعهم إما إلى الانتحار والتخلص من الحياة بطريق مباشر, أو الوقوع في شرك المخدرات أو المسكرات, ليقتل نفسه بطريق غير مباشر. والأمر الذي يؤكد صحة هذا التفسير هو أن هؤلاء الناس لا يعانون فقراً أو حرماناً أو مرضاً, بل هم أغنياء أصحاء, وإنما يعانون من فقدان الطمأنينة التي تجلبها العقيدة الصحيحة والإيمان القويم.

إن اعتماد الأخلاق على أساس من العقيدة يضفي عليها طابعاً مميزاً من القداسة, وتدفع بالإنسان إلى فعل الخير, والابتعاد عن الشر, وتجعله صاحب ضمير حي, وقد اعترف بهذا **الدكتور ألكسيس كاريل حيث يقول: "الفكرة المجردة لا تصبح عاملاً فعالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً**, وهذا **هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية** إلى حد تستحيل معه المقارنة, ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية".

ثانياً - الأساس الواقعي والعلمي:

دعوة الإسلام إلى المثالية والسمو الروحي, وذم الذين أخلدوا إلى الأرض, **دعوة واقعية ووسطاً بين نظرتين** متطرفتين :

أولهما : دعوات روحية تدعو الإنسان إلى محاربة الطبيعة, وعدم الاستسلام لها, مهما جابهته ضغوطات الحياة ومهما كانت شدتها؛ وذلك لأن سعادة الإنسان وسموه الروحي وخلاصه من آلام الحياة -في نظرهم- إنما تتم بمحاربة الطبيعة والتسامي على واقعها.

ثانيهما : دعوات للطبيعيين الذين أخلدوا إلى الأرض, وقدموا الطاعة لدواعيها ومتطلباتها؛ لأن الحياة معها -في نظرهم- هي الحياة السليمة التي تصل بالإنسان إلى السعادة.

فجاء **موقف الإسلام نحو الطبيعة واقعياً وسطاً معتدلاً** بين هاتين النظرتين, وقد تجلى ذلك في:

1- دعوته إلى الاستعلاء على الطبيعة وعدم الاستسلام لها؛ وذلك بدعوة الإنسان إلى أن يكون سيداً على الطبيعة, فيسخر مواردها في عمران الأرض, ونفع العباد, كما قال تعالى: [هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] {هود:61} وأن يكون كذلك سيداً على نفسه, فيضبط ميوله ورغباته ويوجهها وفقاً للمثل العليا التي جاء بها الإسلام.

2- دعوته إلى التأقلم والانسجام مع الطبيعة ومع الواقع, وعدم التصادم معها, وذلك عن طريق اتخاذ قواعد للسلوك تنسجم تمام الانسجام مع القوانين الأساسية للحياة البشرية, وهي القوانين الثلاثة التالية:

قانون **المحافظة على الحياة**, قانون **تكاثر النوع الإنساني** وقانون **الارتقاء العقلي والروحي**

وفي هذه القوانين يتجلى الأساس العلمي الذي أقام الإسلام نظامه الأخلاقي عليه.

فيما يتعلق بقانون "**المحافظة على الحياة**" فإن **الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها, سلوكاً أخلاقياً. وكل سلوك يضاد الحياة أو يعوقها بصورة من الصور يعد سلوكاً غير أخلاقي**. فمن هنا كان **القتل حراماً أخلاقياً**, وكذا **تهديد الآخرين وإخافتهم**, والتحاسد والتباغض والتدابر. وكان من الواجب احترام الناس والمحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودمائهم, والسعي لنفعهم.

وفيما يتعلق بقانون "**تكاثر النوع**" فإن **الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى إبقاء النوع وتحسينه سلوكاً أخلاقياً راقياً**. **فشرع الزواج** وحث عليه, **ونهى عن التبتل أو الرهبانية** كما في حديث أنس بن مالك ﷺ ، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني). كما حث على حسن اختيار الزوجة, فقال الرسول ﷺ: (تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم). وحث الآباء على تزويج بناتهم من أناس صالحين, فقال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلاَّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد). ثم إن الإسلام حرم كل سلوك من شأنه أن يعوق استمرار التناسل؛ لأنه يعد منعاً لاستمرار النوع, ومن ثمَّ فقد حرم الإسلام الخِصاء, كما في حديث ابن مسعود ﷺ ، قال: "كنا نغزو مع النبي ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله، ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك". فالإسلام يعد الخروج على القوانين الطبيعية والأخلاقية تعدياً وخروجاً عن جادة الحياة المستقيمة.

وفيما يتعلق بقانون **الارتقاء العقلي والروحي** فإن **الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى السعادة والإقبال على الحياة بمحبة وانشراح وينمي العقل ويحافظ عليه سلوكاً أخلاقياً راقياً**, و **كل سلوك يضاد ذلك كأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس متشائماً قلقاً, أو يضر بعقله ويجعله مريضاً أو متخلفاً مستسلماً للجهل والخرافات سلوكاً غير أخلاقي**. ومن ثم فقد وجدناه يحث على العلم وصلة الرحم ومحبة الآخرين والرحمة بهم, والرضا بقضاء الله وقدره, كما في قوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) أو قوله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له) أو في تحريم الانتحار, والمسكرات وكل ما يضر بصحة الإنسان البدنية أو بعقله

فقال تعالى: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا] وقوله سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ , إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ]

ثالثاً – مراعاة الطبيعة الإنسانية:

الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح وجسد, وعقل وقلب ومشاعر وعواطف, وأن هناك صراعاً بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأرض والتراب الذي خلق منه, فيستجيب للأهواء والشهوات وينساق لها, وروحه العلوية التي هي من نفخ الإله, وتدعو إلى السمو والرقي والمثالية.

والمطلوب هو التنسيق بين هاتين الطبيعتين في الإنسان, وتوجيهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته أشرف مخلوق على ظهر الأرض, وصاحب رسالة خُلِق من أجلها في هذه الدنيا. والمرجع في هذا التنسيق هو رب العالمين تبارك وتعالى

المحاضرة الثالثة

خصائص الأخلاق الإسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بخصائص تميزها عن غيرها من الأنظمة الأخلاقية, وتعطيها وجودها وطابعها المتفرد والمستقل, وهي:

- **(الخاصية الأولى للأخلاق الإسلامية) الانبثاق عن عقيدة الإسلام:**

أي أنها مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً بحيث يستحيل الفصل بينهما, وما أكثر النصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخُلُق. حتى إنها لتجعل الإيمان, هو نفسه حسن الخُلُق, كيف لا؛ وحسن الخلق يقتضي شُكر المنْعِم (الإله), والاعتراف بفضله, والثناء عليه, والوقوف عند حدوده بامتثال أوامره, واجتناب نواهيه. وأي عقوق أعظم من أن يتمرد الإنسان على خالقه ومولاه, ويتنكر لجميله, ويخالف أمره ونهيه, كما هو الشأن في الكفار والمنافقين.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: **"حسن الخلق هو الإيمان, وسوء الخلق هو النفاق"**, وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه, وهي بجملتها ثمرة حُسْن الخلق, وسوء الخلق, آية حسن الخلق : [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ, الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ, وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ, وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ, وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ...] , وقال تعالى: [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا...].. من أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات, فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق, وفقد جميعها علامة سوء الخلق, ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض, فليشتغل بتحصيل ما فقده, وحفظ ما وجده. وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة, وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق, فقال ﷺ: (من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ). وقال: (لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). وقال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً).

ويقول الشيخ محمد **الغزالي** رحمه الله تعالى: **"الإيمان قوة عاصمة عن الدنايا, دافعة إلى المكرمات ومن ثمَّ فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر, يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم"**. وما أكثر ما يقول في كتابه: " يا أيها الذين آمنوا " ثم يذكر بعدُ ما يُكلفهم به, مثل قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] ... وقوله [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] .. وقد وضح ﷺ أن الإيمان القوي, يلد الخلق القوي حتماً, وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان, أو فقدانه, بحسب تفاقم الشر أو تفاهته.. فالرجل الصفيق الوجه, المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد, يقول ﷺ في وصف حاله:"الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر".

والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء, يحكم الدين عليه حكما قاسياً فيقول فيه الرسول ﷺ: (والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ قال الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه). وتجد الرسول ﷺ عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو, ومجانبة الثرثرة والهذر يقول: (وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ). وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها, معتمداً على صدق الإيمان وكماله..".

إذاً فالدين هو منبت الأخلاق, وهو مصدر الرقابة عليها, وهو المقوِّم لها إذا انحرفت, وهما متلازمان لإقامة كل مدنية فاضلة خيرة في مصلحة الإنسان.

- **(الخاصية الثانية للأخلاق الإسلامية) الشمول:**

حيث تشمل جميع المجالات, فهناك خُلق مع الله ومع رسله عليهم السلام, قال تعالى: [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] , وهناك خُلق مع المسلمين يقول ﷺ: (المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.. كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه) وخُلق مع غير المسلم, قال تعالى: [لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]

وقال ﷺ: (من آذى ذمياً فقد آذاني) وهناك خُلق الكبير والصغير (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا) وخلق مع الحاكم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ] ومع الوالدين والأبناء والبنات والزوج والقرابة, ومع الضيف والمعلم والصديق, ومع البهائم والجماد, .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "قد تكون لكل دين شعائر خاصة به, تعتبر سمات مميزة له. ولا شك أن في الإسلام طاعات معينة, ألزم بها أتباعه, وتعتبر فيما بينهم أموراً مقررة لا صلة لغيرهم بها, غير أن التعاليم الخُلُقية ليست من هذا القبيل؛ فالمسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل لا ترقى إليها شبهة, فالصدق واجب على المسلم مع المسلم وغيره, والسماحة والوفاء والمروءة والتعاون والكرم.. الخ.

وقد أمر القرآن الكريم ألا نتورط مع اليهود أو النصارى في مجادلات تهيج الخصومات ولا تجدي الأديان شيئاً. قال الله تعالى: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]. واستغرب من أتباع موسى وعيسى أن يشتبكوا مع المسلمين في منازعات من هذا النوع الحاد:[قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ] . وحدث أن يهودياً كان له دَيْنٌ على النبي, فجاء يتقاضاه قائلاً : إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطل!! فرأى عمر بن الخطاب أن يُؤدب هذا المتطاول على مقام الرسول, وهَمَّ بسيفه يبغي قتله. لكن الرسول ﷺ أسكت عمر قائلاً: (أنا وهو أولى منك بغير هذا, تأمره بحُسن التقاضي, وتأمرني بحُسن الأداء), وقد أمر الإسلام بالعدل ولو مع فاجر أو كافر. قال ﷺ: "دعوة المظلوم مُستجابة, وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) ... وبهذه النصوص, مَنع الإسلام أبناءه أن يقترفوا أية إساءة نحو مخالفيهم في الدين. ومن آيات حسن الخلق مع أهل الأديان الأخرى ما ورد عن ابن عمر: أنه ذبحت له شاة في أهله , فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟. سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)..

أما من الناحية العامة, فقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها, واستدامة منعتها, إنما يُكفل لها إذا ضمنت حياة الأخلاق فيها, فإذا سقطت الخلق سقطت الدولة معه.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويؤكد هذه الحقيقة حديث الرسول لقومه وعشيرته, فقد رشحتهم مكانتهم في جزيرة العرب لسيادتها, وتولي مقاليد الحكم بها. ولكن النبي أفهمهم ألا دوام لملكهم إلا بالخُلُق وحده. فعن أنس بن مالك قال: "كنا في بيت فيه نفر من المهاجرين والأنصار, فأقبل علينا رسول الله ﷺ, فجعل كل رجل يوسع رجاء أن يجلس إلى جنبه.. ثم قام إلى الباب فأخذ بعضادتيه, فقال: (الأُمَرَاءُ من قُرَيْشٍ ثَلاَثاً ما فَعَلُوا ثَلاَثاً ما حَكَمُوا فَعَدَلُوا وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا وَعَاهَدُوا فَوَفَوْا فَمَنْ لم يَفْعَلْ ذلك منهم فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). هذا الحديث حاسم في أنه لا مكانة لأمة ولا لدولة ولا لأسرة إلا بمقدار ما تمثل في العالم من صفات عالية, وما تحقق من أهداف كريمة. فلو أن حكماً حمل طابع الإسلام والقرآن, ثم نظر الناس إليه فوجدوه لا يعدل في قضية, ولا يرحم في حاجة, ولا يوفي في معاهدة, فهو باسم الإسلام والقرآن قد انسلخ عن مقوماته الفاضلة, وأصبح أهلاً لأن يلعن في فجاج الأرض وآفاق السماء. ومن **أقوال الإمام ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة,**

وإن كانت كافرة, ولا يقيم الدولة الظالمة, وإن كانت مسلمة" . إن الخلق في منابع الإسلام الأولى من كتاب وسنة هو الدين كله, وهو الدنيا كلها, فإن نقصت أمة حظاً من رفعة في صلتها بالله, أو في مكانتها بين الناس, فبقدر نقصان فضائلها وانهزام خلقها".

- **(الخاصية الثالثة للأخلاق الإسلامية) الثبات:**

ويقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بنظام الشريعة العامة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيماً فاضلة ثابتة.

إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: [تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] .

وأما **السبب الذي يجعل أخلاق الإسلام ثابتة** فهو:

ارتباطها بالفطرة التي تتصف بالثبات ويرثها الأحفاد عن الآباء والأجداد (كل مولود يولد على الفطرة) فالخلق فطرة.

وكونها **نابعة عن الدين**، وإذا كان الدين يصلح لجميع الناس، ويهدف إلى الخير المطلق، لأنه من الله سبحانه وتعالى، وقد راعى فيه الخير العام. قال تعالى: [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ] {الملك:14} فكذلك الأخلاق الإسلامية.

ويترتب على خاصية الثبات هذه أن الأخلاق مختلفة عن التقاليد؛ لأن **التقاليد تتغير** بين الفينة والأخرى, بتغير مبررات وجودها، وليس كذلك الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير.

الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد و المجتمع , بخلاف من ينظر إلى الأخلاق على أنها تتطور وتتبدل بتبدل الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية,فإنها تجعل الإنسان يعيش من غير قيم عليا, وفي اضطراب وقلق.

- **(الخاصية الرابعة للأخلاق الإسلامية) الجمع بين الواقعية والمثالية:**

فأما كونها واقعية فتعني أنها عملية وقابلة للتطبيق, ولا يستعصي على أحد من الناس تطبيقها وتجسيدها في حياته, ولكنها في ذات الوقت مثالية أيضاً. بمعنى أن من الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور, و لا يرضى لنفسه بأن يكون كسائر الناس, ولا يشبع ذلك نهمه ورغبته في التسامي بخلقه, ورغبته في التحلي بالفضائل, ولكن ليس كل الناس يطيق ذلك, فجاء الإسلام وراعى بتشريعه استعدادات هذا وذاك, ولم يحمل الناس على ما لا يطيقون, وما يمكن أن تمله نفوسهم وتتقاصر عنه, فشرع العدل وذلك بأن يصل كل ذي حق إلى حقه, ولكن دعاه في الوقت ذاته إلى الإحسان وهي مرتبة أعلى من العدل فيها التضحية والصفح والتجاوز, قال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] وقال:[وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] . وقال[وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ].

وهذا يختلف عن **الدعوات المثالية التي نادى بها بعض الفلاسفة من أمثال أفلاطون في كتابه الجمهورية الفاضلة**, وكذلك النصارى في الوصايا التي نسبوها إلى نبي الله عيسى عليه السلام, وهي مستعصية على التطبيق, ولا تستقيم معها حياة الإنسان, وسرعان ما يملها, وتسأم نفسه من فعله لما فيها من تكلف شديد. قال ﷺ: (عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا). وفي معناه قوله تعالى: [فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ].

- **(الخاصية الخامسة للأخلاق الإسلامية) الوسطية:**

الأخلاق الإسلامية وسطاً بين طرفين متضادين, ففي نظرته إلى تكوين الإنسان كان **وسطاً بين** :

- غلاة **المثاليين** الذين **يعتبرون الإنسان روحاً علوية محبوسةً في الجسد** ويجب عليه أن يتحرر منه.
- غلاة **الواقعيين** الذين **يعتبرون الإنسان جسداً فقط ويتنكرون للروح** ومتطلباته.

فجاء الإسلام وقرر أن الإنسان مخلوق مركب من عقل وشهوة, وفيه استعداد للتقوى والفجور, وقد بين الله له طريق الخير وطريق الشر, ثم ترك له حرية , فقال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}.

وفي **نظرة الإسلام إلى الحياة وسط بين طرفين متقابلين** هما:

- من يرى أن الحياة هي هذه الدنيا التي نعيشها فقط.
- وأولئك الذين يتنكرون لهذه الحياة الدنيوية ومتعها, ويرون أن السعي يجب أن يكون للآخرة فقط.

فجاء الإسلام ليقرر الانسجام والتوافق بين الحياتين, وأن الدنيا مزرعة للآخرة, ويجب للإنسان أن يعمل لها ويسعى في عمارتها لأنها تمثل جزءاً من المهمة التي خلق الله عز وجل البشر من أجلها. قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } سورة هود, أي طلب منكم عمارتها, وقال أيضاً: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

وفي دعوته إلى التحلي بالفضائل الخلقية كان وسطاً **لا يقبل الزيادة ولا النقصان**, على سبيل المثال **حث على**:

الحكمة واعتبرها فضيلة,قال تعالى:[يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا] **وتأتي بين رذيلتين**: **الخِبُّ**: إفراطٌ وزيادة من جهة الاتصاف بالمكر والحيلة وسوء الظن. **والبَلَه**: تفريط ونقصان عن الاعتدال, وسذاجة وسفه.

السخاء واعتبره خلقاً كريماً, ووضح أنه يأتي بين رذيلتين, هما: **الإسراف والتقتير**, قال تعالى:[وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا] وقال: [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا].

الشجاعة وهي وسطٌ بين رذيلتي التهور والجبن. فالتهور زيادة عن الاعتدال، ويقدم بها الإنسان على الأمور المحظورة، التي يجب في العقل الإحجام عنها, قال تعالى: [وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]. والجبن نقصان عن الاعتدال, قال تعالى في وصف المنافقين: [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ]

العفة وهي وسط بين رذيلتي الشره والخمود. فالشره هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات. والخمود هو خمود الشهوة عن الانبعاث إلى ما يقتضي العقل نيله وتحصيله.

الحياء وهو وسط بين رذيلتي الوقاحة وصفاقة الوجه من جهة, **والخور والمهانة** من جهة أخرى.

التواضع وهو وسط بين رذيلتي الكبر والعلو من جهة, والذلة **والحقارة** من جهة أخرى.

العدل هو التوسط المحمود في كل شيء, بأن **يعطى كل ذي حق حقه**, من غير غبن وتغابن. والغبن إفراط أي أن يأخذ ما ليس له، والتغابن تفريط, أي أن يعطي في المعاملة ما ليس عليه حمد وأجر.

المحاضرة الرابعة

وسائل اكتساب الأخلاق . الصفات الخلقية الحميدة تحتاج إلى وسائل لاكتسابها والاتصاف بها, ومن أهم هذه الوسائل :

التدريب العملي والرياضة النفسية :

وذلك من خلال **مجاهدة النفس, وحملها على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب**. فمن أراد مثلاً أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق الجود, فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد, وهو بذل المال, فلا يزال يطالب نفسه, ويواظب عليه تكلفاً, مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له, ويتيسر عليه, فيصير به جواداً. وكذا من أراد أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق التواضع وقد غلب عليه الكِبْر, فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة, وهو فيها مجاهد نفسه, ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً, فيتيسر عليه. **السخي**: هو الذي **يَسْتَلِّذ بذلَ المال الذي يبذله**, دون الذي يبذله عن كراهة. **المتواضع**: **هو الذي يَسْتَلِّذ التواضع**. وفي هذا المعنى جاء قول النبي ﷺ : (وجعلت قرة عيني في الصلاة), ويجب أن يكون هذا الاستلذاذ للطاعة واستكراه المعصية على الدوام وفي جملة العمر, **وكلما كان العمر أطول, كانت الفضيلة أرسخ وأكمل, ولذلك لما سئل ﷺ : أي الناس خير؟ قال: (من طال عمره, وحسن عمله), وهو ما كان يجعل الأنبياء والصالحين من العباد يكرهون الموت, فإن الدنيا مزرعة الآخرة, وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر, كان الثواب أجزل, والنفس أزكى وأطهر, والأخلاق أقوى وأرسخ**.

فإذن **يمكن اكتساب الأخلاق الجميلة بالرياضة, بتكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصير طبعاً انتهاءً**, وهذا من أثر العلاقة بين القلب والجوارح. أي النفس والبدن. فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها, وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب, والأمر فيه دور. ويعرف ذلك بمثال؛ وهو: أن من أراد أن يصير حاذقاً في الكتابة (خطاطاً) فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق, ويواظب عليه مدة طويلة, يحاكي الخط الحسن, فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن, فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه, حتى يصير صفة راسخة في نفسه, فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً, كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً. وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس, فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء, وهو التكرار للفقه, حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه, فيصير فقيه النفس..

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة فقال: (مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ،وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ). أي أن من درب نفسه وحملها على ما يريد, وجد الاستجابة له بإذن الله. فالبداية من العبد, ثم يأتيه التوفيق من الله تعالى. فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً, وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء, فكذلك النفس تخلق ناقصة, قابلة للكمال. وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق, والتغذية بالعلم.

البيئة الصالحة والجليس الصالح:

وذلك بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم, وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح, إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخيرَ جميعاً. قال ﷺ : (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً). رواه البخاري ومسلم. **قال النووي**: "في الحديث تمثيله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة". **وقال الشيخ ناصر السعدي** رحمه الله: "اشتمل هذا الحديث على **الحث على اختيار الأصحاب الصالحين**، والتحذير من ضدهم, ومثل النبي ﷺ بهذين المثالين، مبيناً أن الجليس الصالح: جميع أحوالك معه, وأنت في مغنم وخير، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك: إما بهبة، أو

بعوض. وأقل ذلك: مدة جلوسك معه، وأنت قرير النفس برائحة المسك فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر . فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضاً إلى الخير، أو إلى ضده.

وأما مصاحبة الأشرار: فإنها بضد جميع ما ذكرنا، وهم مضرة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وشر على من خالطهم. فكم هلك بسببهم أقوام. وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون. ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن: أن يوفقه لصحبة الأخيار. ومن عقوبته لعبده: أن يبتليه بصحبة الأشرار.

صحبة الأخيار توصل العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين. صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة. وصحبة الأشرار: تحرمه ذلك أجمع: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا , يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا , لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } قال ﷺ " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

وفي حديث آخر بين ﷺ أثر البيئة الفاسدة والبيئة الصالحة على المرء, فقَالَ: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ. فَقَالَ: لا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ. فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ: مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ: مَلائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَط. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَه. ُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ) **قال النووي**: "قال العلماء: في **هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب**، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم" وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)

القدوة الحسنة:

الإنسان بطبعه يميل إلى التقليد, , فإذا نظرت إلى كثير من الكافرين وجدت أن كفرهم كان تقليداً لآبائهم وكبرائهم, [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ] . إذاً فليتخذ الإنسان العاقل القدوة في حياته, وهو رسول الله ﷺ الذي ارتضاه الله لنا قدوة, وأمرنا بالتأسي به, فقال تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] . فهو خير قدوة .

إن المسلم إذا أُبرزت أمامه القدوات الطيبة, والنماذج الراقية, فإنه يسارع إلى تقليدها والتأسي بها. وإنه مطالب بالتأسي بالنماذج الطيبة المرضية عند الله تعالى، وقد وجدنا القرآن يقول للرسول ﷺ بعد أن تحدث عن بعض الأنبياء والمرسلين. [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ]

وهذه القدوة الصالحة لها تأثير عجيب في اكتساب الفضائل لأسباب متعددة.. منها:

1) **كون هذه القدوة محل تقدير وإعجاب** كبير من الناس، مما يولد في الفرد المحروم من أسباب هذا المجد حوافز قوية تدفعه إلى تقليد هذه القدوة الصالحة ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها، مما يحولها إلى خلق مكتسب.

2) **النفس البشرية تتأثر بالأمور العملية أكثر بكثير من تأثرها بالأمور النظرية** ؛ولهذا وجدنا أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تشير على النبي ﷺ أن يبدأ بحلق رأسه بعد صلح الحديبية في وقت امتنع فيه كثير من المسلمين عن الحلق فلما رأوا رسول الله حلق تسابقوا إلى الحلق تأسيا به ﷺ ؛ ولهذا أيضا أثر عن بعض السلف قوله: إن فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل.
3) **من واجب المصلحين والدعاة المربين أن يبرزوا للناس** : خصوصاً للشباب والنشء النماذج الصالحة أسلافنا, من صحابة رسول الله وتابعيهم بإحسان, فيبرزوا سير العلماء الربانيين, والزهاد الأتقياء العابدين, والقادة الأفذاذ الفاتحين, والمربين الناجحين المؤثرين لتتحرك الهمم نحو التأسي بهم, والسير على نهجهم.

الضغط الاجتماعي:

ونعني بذلك **المجتمع المسلم بما يشكله من رقابة على سلوك الأفراد, وإلزامهم بفضائل الأخلاق**.

وذلك أن الفرد يعيش مع الناس داخل هذا المجتمع, يحتاجهم في شؤون حياته, ولا يستغني عنهم, ويحتاج منهم التقدير والاحترام, فإذا أقدم على تصرف سيء فسيجد من يحاسبه على سلوكه ذاك, وسيشعره بأنه أقدم على سلوك غير مقبول, ومن ثم فإن عليه أن لا يعاوده. ويوماً بعد يوم, ومع هذه الرقابة من المجتمع والضغط الذي يشكله على سلوكه, فإنه سيهجر هذا التصرف السيئ وسيبدله بتصرف آخر مقبولاً ويجلب له الرضا والاحترام والتقدير ممن حوله. والفرق بين هذا وبين ما سبق من تأثير البيئة الصالحة, هو أن البيئة: هي تلك المجموعة من الناس الذين يعيش معهم بشكل مباشر كل يوم, وبصورة مستمرة.

فالضغط الاجتماعي: يعني ما هو **أعم**. إنه **المجتمع بكل طبقاته وأطيافه وفئاته. فهناك رقابة من المجتمع على وسائل الإعلام المختلفة من جرائد ومجلات وكتب وإذاعات وخطب ومقالات ومواعظ وحوارات, فيقوم مستمعوه وقراؤه, بمحاسبته على أقواله وتصرفاته المخالفة للفضائل الخلقية. فالمسؤولية اجتماعية**, وفي بيان ذلك يقول الرسول ﷺ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ثُمَّ قَالَ كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا) رواه أبو داود والبيهقي وغيرهما.

ويؤيد الحديث الآخر: (مَثَلُ القَائِمِ في حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَمِيعاً) رواه البخاري. ومعنى (القَائِمِ في حُدُودِ اللهِ تَعَالَى): المنكر للوقوع فيها، والقائم في دفعِها وإزالتِها، وَالمُرادُ بالحُدُودِ: مَا نَهَى الله عَنْهُ. ومعنى: اسْتَهَمُوا: اقْتَرَعُوا

سلطان الدولة:

ونعني بها **السلطة الحاكمة بما تملكه من قوة ردع, وأجهزة رقابة**, وفي بيان أثر هذه الرقابة من الدولة **يقول عثمان بن عفان** ﷺ**: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)**. أي **أن الله يدفع بالسلطان أناساً عن اقتراف المنكر, وذلك خوفاً من عقوبته, لأن القرآن الكريم لا يدفعهم ولا يؤثر فيهم, فقلوبهم ميتة, وإيمانهم ضعيف, وعقولهم معطلة, وما يردعهم هو خوف العقوبة فقط**.

المحاضرة الخامسة

المسؤولية عن السلوك الأخلاقي

ثلاثة مسائل مرتبطة ببعضها وهي على الترتيب: **الإلزام**, ثم **المسؤولية**, ثم **الجزاء**.

أولاً – الإلزام:

تعريفه: الإلزام في باب الأخلاق بأنه: **تكليفٌ بتشريع خُلُقي**.()

أو بعبارة أوضح: **أمرٌ صادرٌ من الشرع للمكلف بامتثال خُلُقٍ محمودٍ, أو اجتناب خُلُقٍ مذموم**.

والمقصود بالمكلف هو الشخص: البالغ العاقل.

- **مصادر الإلزام الخلقي**:

هو نصوص الشريعة من كتابٍ وسنةٍ. قال تعالى: [رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ], وقال: [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]. فلا محاسبة, ولا عقاب قبل إرسال الرسل, وإقامة الحجة من الله على العباد.

وما اتباعنا للرسول ﷺ , إلا لامتثال أمره سبحانه, حيث قال: [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] , وقال أيضاً: [قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ].

وإذا كان **مصدر الإلزام هو الشرع**, فإن **هناك أموراً تعين على تحقيق الالتزام** في حياة الناس, وهي متفرعة عن الشرع, ومنضبطة به, وتتمثل في **عوامل خارجية** كالمجتمع والسلطة الحاكمة, **وعوامل داخلية** كالإيمان **والعقل والفطرة والضمير الخلقي**. وفيما يلي **بيان موجز بكل واحدة** منها:

الإيمان بالله : كثير من الممارسات الخلقية الحميدة لا تقوم إلا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر, كما في مقابلة الإساءة بالإحسان, والصبر على الظلم مع القدرة على الرد, والإنفاق على الأيتام والمحتاجين من غير انتظار الجزاء منهم, والتضحية بالمال مع شدة الحاجة إليه, كما قال تعالى: [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً, إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً] . **يقول ابن القيم** رحمه الله: " **الإيمان هو روح الأعمال, وهو الباعث عليها والآمر بأحسنها والناهي عن أقبحها, وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه, وائتمار صاحبه وانتهاؤه**".

العقل: وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعة مفيدة أقدم عليه, وإذا رأى أنها ستكون ضارة أو أليمة أحجم عنه. قال تعالى مخبراً عن أهل النار: [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]. **يقول ابن القيم** رحمه الله: **" أما العقل فقد وضع الله سبحانه في العقول والفطر استحسان الصدق والعدل والإحسان والبر والعفة والشجاعة ومكارم الأخلاق وأداء الأمانات وصلة الأرحام ونصيحة الخلق والوفاء بالعهد وحفظ الجوار ونصر المظلوم والإعانة على نوائب الحق وقرى الضيف وحمل الكل ونحو ذلك ووضع في العقول والفطر استقباح أضداد ذلك ونسبة هذا الاستحسان والاستقباح إلى العقول والفطر كنسبة استحسان شرب الماء البارد عند الظمأ وأكل الطعام اللذيذ النافع عند الجوع ولبس ما يدفئه عند البرد فكما لا يمكنه أن يدفع عن نفسه وطبعه استحسان ذلك ونفعه فكذلك لا يدفع عن نفسه وفطرته استحسان صفات الكمال ونفعها واستقباح أضدادها ومن قال : إن ذلك لا يعلم بالعقل ولا بالفطرة وإنما عرف بمجرد السمع فقوله باطل"**.

الفطرة: الإنسان بفطرته السليمة يهتدي إلى الأخلاق الحميدة, ويرتاح لها, قال تعالى: [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ], ويقول الرسول ﷺ : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة ﷺ واقرؤوا إن شئتم: { فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}. يقول ابن القيم: **"الله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه ... أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة. فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة سالمة حتى يجدعها صاحبها"**.

المجتمع: أمر الله سبحانه جماعة المسلمين أن يراقبوا سلوك الأفراد داخل المجتمع, وأن يأخذوا على يد الشارد منهم عن جادة الحق, ويعاقبوا المنحرف. قال تعالى: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ], وقال تعالى: [الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ], ويقول الرسول ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه, وذلك أضعف الإيمان. فالأمة كلها مكلفة بأن تراقب أفعال الناس وتصرفاتهم, فتأمر بالمعروف, وتنهى عن المنكر, وتأخذ على يد الظالم والعابث, وإلا نال جميع أبنائها شؤم المعصية. قال تعالى محذراً من ذلك: [وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً] .

ولي الأمر (أو السلطان) : من واجبه حمل الناس على الالتزام بحدود الشرع الحنيف, والتحلي بالأخلاق الفاضلة, والابتعاد عن السلوكيات المنحرفة والمحرمة. فمهمته الرئيسة في حكمه هي "حراسة الدين, وسياسة الدنيا" وعليه أن يستعين في سبيل تحقيق ذلك بالأعوان الصالحين, فإن في الناس من لا يردعه إلا الخوف من العقوبة.

- **خصائص الإلزام الخُلُقي : يمتاز الإلزام الخلقي في الإسلام بخصائص أهمها:**

1) **الإلزام بقدر الاستطاعة**, [لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] , فلا تكليف إلا بقدر الطاقة والاستطاعة, وهذا مبدأ يقتضيه العدل الإلهي, كما يقتضيه الخلق القويم.
2) **اليسر في التطبيق**, [يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ] {البقرة:185}, إذ لم يشرع لنا من التكاليف ما من شأنه أن يوقعنا في الحرج والمشقة.
3) **مراعاة الأحوال الاستثنائية:** مثل إعفاء العجزة والضعفاء والمرضى عن الجهاد [لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ] والرخصة للمكره على الكفر, بالتلفظ بلسانه بالكفر مع بقاء قلبه مطمئناً بالإيمان [مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً] .

ثانياً: المسؤولية:

تعريفها : هي **"التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً"**. أو هي: **"تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله"**.

شروطها :

أن يكون أهلاً لتحمل المسؤولية (أي بالغاً عاقلاً) فلو كان مجنوناً أو صغيراً دون البلوغ لحديث (رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يفيق, وعن الصبي حتى يحتلم, وعن النائم حتى يستيقظ).

أن يكون العمل نابعاً من إرادته, وإلا فلو كان العمل لا إرادياً كما في الخطأ أو في حالة النائم, أو كان صاحبه مكرهاً لم يتحمل مسؤولية تصرفه. لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه).

النية, إذ المسؤولية الحقيقية عند الله إنما هي على النية والقصد دون ظاهر السلوك, أي أن تتجه النية من الشخص إلى العمل, وأن يعمل حقيقة. وهذا هو المطلوب من الإنسان, وبه ينتهي مجال الفعل الأخلاقي، وأما النتائج والمعطيات فلسنا مسؤولين عنها, بل أمرها بيد الله تعالى.يقول النبي ﷺ في بيان هذه الحقيقة: (إنما الأعمال بالنيات, وإنما لكل امرئ ما نوى), ويؤكد قول الله تعالى: [لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] هذه الحقيقة. وعليه فإن الإنسان غير مسؤول عن أعماله اللاإرادية, لأنه لا مسؤولية من غير إرادة، كما أنه غير مسؤول عن فعله الذي وقع خطأ منه, لعدم توافر نية الشر لديه, وفي بيان ذلك يقول الله تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ}.

العلم بالعمل, وبما يؤدي إليه من خير أو شر, أو إمكانية العلم حتى وإن قصر ولم يتعلم, قال تعالى: [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]. ولا يعني هذا عدم مؤاخذة الإنسان بما يجهل, بل المقصود أنه لا يؤاخذ حتى تقوم عليه الحجة, فإذا أمكنه التعلم, ثم قصر ولم يتعلم, فإنه لا يُعذر بجهله.

كون العمل مستطاع الفعل والترك, [لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا].

خصائص المسؤولية:

المسؤولية في الإسلام ذات طابع شخصي، بمعنى أن **الإنسان مسؤول عن تصرفاته فقط**, دون غيره, وهناك آيات كثيرة من كتاب الله تؤكد هذه الحقيقة منها: {مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى}, ومنها: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى}. وعلى تصرفاته من الأقوال والأفعال يأتي الثواب والعقاب.

إلا أن **هذه المسئولية الفردية لا تمنع الفرد أن يكون مسؤولاً عن انحراف مسلك أبنائه أو أقرانه، أو من له ولاية عليه**, **والمسؤولية هنا ليس من أجل الفعل**, **بل من أجل التقصير** في واجبه فيما وكل إليه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته), أو لتقاعسه عن واجبه الذي فرضه عليه الشرع, قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهمون عن المنكر}.

أنواع المسئولية:

المسئولية الأخلاقية المحضة: وتعني الالتزام الذاتي من الإنسان نفسه على الإتيان بشيء أو الانتهاء عن فعل شيء.

المسئولية الاجتماعية: وتعني الالتزام تجاه الآخرين وما يفرضه المجتمع من قواعد.

المسئولية الدينية: وتعني الالتزام أمام الله تعالى.

ثالثاً ـ الجزاء:

تعريفه : هو الأثر المترتب على الفعل الإنساني؛ ظاهراً أو باطناً، في الدنيا أو في الآخرة.

أنواعه:

للجزاء ثلاثة أنواع هي: الجزاء **الأخلاقي**, والجزاء **الشرعي**, والجزاء **الإلهي**.

الجزاء الأخلاقي: هو ما يلاحظه الإنسان من نفسه جراء إقدامه على عمل طبقا لما يعرفه من الأحكام والتشريعات والقواعد ويحس بها، كالرضا في حالة النجاح، والألم في حالة الإخفاق. يقول ﷺ : (من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن). حديث صحيح. ففي هذا الحديث ترجمة وتحديد للإيمان الخلقي.

الجزاء الشرعي: هو العقوبات التي أقرتها الشريعة للذين يتعدون حدود الله، فيظلمون أنفسهم، ويظلمون غيرهم. والغاية من هذا الجزاء الشرعي معاقبة المجرم وردعه, وكذا ردع الآخرين ممن يمكن أن تسول له نفسه ارتكاب مثل تلك الجرائم.

وهذه العقوبات على نوعين: **حدود: وهي جزاءات حددها الشرع كحد الزنا، والسرقة، والقذف**... . **وتعزيرات: أي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لم يحدد الشرع فيها عقوبة**.

الجزاء الإلهي: الجزاء الإلهي له طبيعته وامتداداته من الدنيا وإلى الحياة الآخرة.

في حالة الطاعة والامتثال له في الدنيا الرضا من الله والتوفيق والحفظ وتيسير الأمور والنصر والعزة , وهناك آيات كثيرة تؤكد هذا منها: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} ومنها { إن تنصروا الله ينصركم}.

وفي حالة المعصية والاستمرار عليها وعدم التوبة منها له في الدنيا ضنك العيش والمصائب والسخط من الله, قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ}, وقال تعالى: {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا}.

وفي الحياة الأخرى للمؤمن الجنة والرضا, قال تعالى: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً..} وقال تعالى: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً}.

وللكافر والمنافق نار جهنم والسخط من الله, قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ] .

المحاضرة السادسة

نماذج من أخلاق النبي الكريم ذو الخلق العظيم ﷺ :

قال تعالى مادحاً نبيه الكريم ﷺ : {وَإِنَّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ} وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاق النبي ﷺ:(كان خلقه القرآن). أي أن أخلاقه ﷺ تجسيد عملي لما جاء به القرآن الكريم من أوامر أو نواهي أو مُثُلٍ عليا.

فهو الذي اختاره الله سبحانه ليكون أسوة ومثلاً أعلى للبشرية, فقال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوةَ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}.

وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم, وهو الذي قال الله فيه: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} زكى الله لسانه فقال تعالى: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى] , وزكى صدره, فقال: [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] , وزكى هديه ومنهجه فقال: [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ], وقال:[قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] , ومن ثَمَّ قال النبي ﷺ متحدثاً عن نعمة ربه عليه (أدبني ربي فأحسن تأديبي), وقال: (أما إني لأخشاكم وأتقاكم لله). ويقول أنس ﷺ: "كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا", وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ " .

نماذج من أخلاق النبي الكريم ﷺ .

عبادة النبي ﷺ :

كان النبي ﷺ كما وصف نفسه, أتقى الناس وأخشاهم لله, وأكثرهم عبادة وتألهاً، فمن كريم أخلاقه ﷺ أنه كان شاكراً. تقول عائشة رضي الله عنها: كان نبي الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: (أفلا أكون عبداً شكوراً), وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ الْعَتَمَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ بِعِبَادَتِكَ فَذَهَبَ وَذَهَبْتُ مَعَهُ ... ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمُ وَيُرَدِّدُ فِيهِ شَفَتَيْهِ حَتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي رُكُوعِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَيُرَدِّدُ شَفَتَيْهِ فَأَظُنُّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي سُجُودِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ نَهَضَ حِينَ فَرَغَ مِنْ سَجْدَتَيْهِ فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ آلَ عِمْرَانَ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَفِعْلِهِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَمِعْتُ النِّدَاءَ بِالْفَجْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَمَا تَعَبَّدْتُ عِبَادَةً كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهَا) وكان يدعو ويسبح ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع, يقول عبد الله بن الشخير ﷺ : (أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء). وكان يقول: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) وكان يكثر من الصيام. تقول عائشة رضي الله عنها: (كان يصوم حتى نقول لا يفطر, ويفطر حتى نقول لا يصوم, ولم أره صائماً في شهرٍ قط أكثر منه في شعبان, كان يصوم شعبان كله, كان يصوم شعبان إلا قليلاً) وكان ينظر إلى نفسه وعبادته فيرى نفسه مقصراً في جنب الله فيقول: إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله مائة مرة)

دعوته ﷺ

كانت دعوته ﷺ لجميع الخلق، وكان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً في سبيلها، ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك ما رواه أبو أُمامة ـ ﷺ ـ قال: إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه. فقال له: (ادنه)، فدنا منه قريباً، قال: (أتحبّه لأمّك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ مه مه فقال رسول الله ﷺ لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال ﷺ , قال وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنه عليه) وقد انتهج النبي ﷺ ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين ، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، وكان يتمثل في ذلك ﷺ قول الله عز وجل: { ادْعُ إِلِىَ سَبِيـلِ رَبّـكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَـوْعِظَـةِ الْحَسَنَـةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

رحمته ﷺ:

قال تعالى في شأن نبيه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) , فهو ﷺ رحمة للعالمين وليس للمؤمنين فقط, ورسالته رحمة للجميع , ومن ثمَّ كان يقول: (إنما أنا رحمة مهداة). وعندما طلب منه أن يدع على المشركين قال: (إني لم أبعث لعانًا) ودعا لهم بالهداية. وقال ﷺ: (اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة و أجراً ". وكان من دعائه ﷺ: (اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً ، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به) قال تعالى : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) , وقال ﷺ في فضل الرحمة: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ومن مظاهر رحمته بالمؤمنين أنه أمر من أمهم في الصلاة بأن يخفف فقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا, فقال أبو مسعود الأنصاري: فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئذٍ فقال يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة) وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ، بَعْدَ ذلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرضى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)

صدقه ﷺ:

من صور صدقه واعتراف أعدائه به حتى قبل إعلان دعوته, ما جرى معه ﷺ حين دعا الناس إلى رسالته. فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين)صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقي؟قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت(تبت يدا أبي لهب)

ومن صوره ما أخبر به عبد الله بن سلام الحبر اليهودي وبسببه أسلم, قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ" فلم يحتج الأمر منه إلا أن ينظر إلى وجهه ﷺ ليعلم أنه ليس بوجه كذاب.

شجاعته ﷺ:

كان الأشجع والأجود بنفسه، ومن قصص شجاعته ما رواه مسلم عن أنس بنِ مالك رضى الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي أن الفرس كان سريعاً فسبقتكم إلى الصوت وليس هناك ما يخيف فارجعوا. وروي عن عليٍّ ﷺ قال: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ, فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. وقال علي رضى الله عنه أيضًا: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً

وعن العباس ﷺ قال شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين, فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يُرْكض بغلته قِبَل الكفار قال العباس وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ألا تسرع فقال رسول الله ﷺ أي عباس ناد أصحاب السمرة. قال عباس - وكان رجلاً صيتاً فقلت: أين المهاجرون الأولون أين أصحاب سورة البقرة والنبي ﷺ يقول قدما: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار حتى انهزم الكفار. قال وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته.

عفو النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إِلاَّ وأنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبريلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بمَا شِئْتَ فِيهِمْ . فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ). فَقَالَ النبي ﷺ: (بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً).

وعن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدة. قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه, فضحك ثم أمر له بعطاء). وعن عائشة قالت : مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إِلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى.

المحاضرة السابعة

تابع نماذج من أخلاق النبي الكريم ﷺ

تواضعه ﷺ:

كان ﷺ شديد التواضع, يُجيب دعوة الحر والعبد, والغني والفقير, ويعود المرضى في أقصى المدينة, ويقبل عذر المعتذر.

فعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ, فكلمه فجعل تُرْعَدُ فرائصه, قال جرير: فقال له النبي: (هون عليك فإني لست بملك, إنما أنا ابن امرأة من قريش, كانت تأكل القديد في هذه البطحاء). ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي {وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}. قال فنطق الرجل بحاجته.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ولقد كان يوم خيبر ويوم قريظة على حمار خطامه حبل من ليف وتحته أكاف من ليف.

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

وكان ﷺ ينهى عن مدحه وإلقاء الألقاب عليه، ويقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله).

وكان يحذر من الكِبر, فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال النبي ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر بَطَرُ الحق, وغَمْطُ الناس". ومعنى بطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً. ومعنى غمط الناس: احتقارهم. فبين النبي ﷺ المعنى الصحيح للكِبْر, وأنه التكبر على الحق, واحتقار الناس, وصحح المفهوم الخاطئ الذي ربما يعتقده كثير من الناس إلى يومنا هذا إذ يعتبرون الاهتمام بالمظهر من الكِبر, وليس هو منه, بل هو مما يحبه الله تعالى, ولا يتنافى مع خُلُق التواضع.

وقد بلغ من تواضع النبي ﷺ, ورغبته في جبر خواطر الناس أن قال: "لو دُعيت إلى كراعٌ لأجبتُ، ولو أُهدِيَ إليَّ ذراع لقبلتُ".

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب. والإهالة السنخة: تعني الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث. وعن أنس أن خياطاً دعا النبي ﷺ لطعام صنعه قال أنس فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دباء وقديدٌ قال أنس فرأيت رسول الله يتتبع الدباء من حوالي الصحفة.

زهده ﷺ :

كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً أو يكون عبداً نبياً, فاختار أن يكون عبداً نبياً. كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة. قال أنس بن مالك ﷺ : (دخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي ﷺ فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي ﷺ : ما يبكيك يا عمر قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال : بلى. قال: هو كذلك.

وكان من زهده ﷺ وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في الشهر والشهرين, فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقول لعروة بن الزبير: والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان ـ التمر والماء ـ). وعن ابن عباس ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءاً، وكان أكثر خبزهم الشعير). عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئا لغد.

صبر النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه, وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة. وهي شدة مطلوبة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله, وهي خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان. قال تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)

من صور **الصبر والعفو** أن النبي ﷺ عندما جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا. والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان.

وما رواه طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز فمَرَّ وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: "يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله ـ تفلحوا" ، ورجل يتبعه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس! لا تطيعوه فإنه كذاب؛ قلت: من هذا؟ قالوا: غلام من بني عبد المطلب، قلت: فمن هذا يتبعه يرميه؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى - وهو أبو لهب.

وعن الحارث الغامدي قال: حججت مع أبي فلما كنا بمنى إذا جماعة على رجل! فقلت: يا أبة! ما هذه الجماعة؟ فقال: هذا الصابئ الذي ترك دين قومه، ثم ذهب أبي حتى وقف عليهم على ناقته، فذهبت أنا حتى وقفت عليهم على ناقتي، فإذا به يحدثهم وهم يردون عليه، فلم يزل موقف أبي حتى تفرقوا عن ملل وارتفاع من النهار، وأقبلت جارية في يدها قدح فيه ماء ونحرها مكشوف، فقالوا: هذه بنته زينب، فناولته وهي تبكي، فقال: "خمري عليك نحرك يا بنية ! ولا تخافي على أبيك غلبة ولا ذلاً.

مزاح النبي ﷺ:

وكان من هديه ﷺ أن يمزح ولكنه في مزحه لا يقول إلا حقاً.

ومن صور ذلك أن امرأة عجوزاً سألته ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال لها النبي ﷺ: (يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي. فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: {إِنّآ أَنشَأْنَاهُنّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً}

وعن أنس بن مالك ﷺ (أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال: يا رسولَ الله احمِلْنا على بعير. فقال: أحْمِلُكُمْ على وَلَدِ الناقةِ. قال: وما نَصْنَع بولدِ الناقةِ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: هل تَلِدُ الإبِلَ إلا النُّوقُ ؟).

وقال أنس: وسمعته ﷺ يقول لامرأة: "زوُجكِ، ذلك البياضُ في عينيه؟ قالت: عَقْرَى, ومتى رأيتَه؟ قال: وهل من عين إلا وفيها بياض". و **عقرى** تعني جعلها الله عاقراً لا تلد, يستعملها العرب للدعاء على الشخص, ولا يريدون حقيقة ذلك, بل مثل قولهم: لا أُمَّ لك. كناية عن عدم الرضا بالأمر.

وعن أنس بن مالك أن رجلا من أهل البادية يقال له : زاهر بن حرام كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله ﷺ: (إن زاهرا بادينا ونحن حاضروه). قال: فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه

من خلفه والرجل لا يبصره, فقال: أرسلني, من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره. فقال رسول الله ﷺ: (من يشتري هذا العبد)؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدا. قال: (لكنك عند الله لست بكاسد). أو قال ﷺ: (بل أنت عند الله غال).

حياؤه ﷺ:

كان النبي ﷺ شديد الحياء, فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ.

وعن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ، دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ؛ فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا؛ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ]

وكان ﷺ يقول: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاء.

غير أن حياءه لم يكن يمنعه من قول الحق والغضب له إلا إنه لم يكن يواجه أحدًا بما يكره، لهذا وصفه الصحابة بأنه ﷺ كان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه إشارة إلى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهيته لذلك

عدل النبي ﷺ:

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ :« وَيْحَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...).

ومن صور عدله ﷺ وإقامته لشرع الله تعالى ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسولُ الله ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بِصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ ﷺ فِلَق الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غَارتْ أُمُّكم،[غارتْ أُمُّكم]، ثم حبس الخادم، حتى أُتيَ بِصَحفَة من عند التي هو في بيتها ، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْها»

. و قال ﷺ في قصة المرأة المخزومية التي سرقت : (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد, لقطعت يدها).

أخلاق النبي ﷺ مع أهله :

كان ﷺ خير الناس لأهله, وقد تمثل ذلك في طيب كلامه, وحسن عشرته لزوجاته وبإكرامه واحترامه لمشاعرهن، قال ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).

وكان من كريم أخلاقه ﷺ في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يتودد إليهن, ويرأف بهن, ويمازحهن, تروي السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِى سَفَرٍ وَهِىَ جَارِيَةٌ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: "تَقَدَّمُوا". فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: "تَعَالِ أُسَابِقْكِ". فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِى فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ أَيْضًا مَعَهُ فِى سَفَرٍ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: "تَعَالِ أُسَابِقْكِ". وَنَسِيتُ

الَّذِى كَانَ وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَقُلْتُ وَكَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ: "لَتَفْعَلِنَّ". فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِى فَقَالَ: (هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ).

وتروي السيدة الطاهرة عائشة أم المؤمنين أيضاً فتقول: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو).

وتقول في عمل النبي في بيته: (كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة). وتقول أنه ﷺ : (كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم). ومن دلائل احترامه الكبير, وحبه الشديد لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان يذبح الشاة ثم يهديها إلى صديقاتها، وذلك بعد مماتها.

أخلاق النبي ﷺ مع الأطفال:

كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم, ويظهر محبته لهم. وكان من شفقته عليهم أنه إذا سمع بكاء الصبي وهو يؤم الناس في صلاة الجماعة أن يسرع في صلاته ويخففها, لئلا تفتتن أمه.

وكان ﷺ يحمل ابنة ابنته (أمامة بنت زينب) وهو يصلي بالناس, إذا قام حملها وإذا سجد وضعها.

وجاءه الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يخطب في الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي ﷺ من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ".

أخلاق النبي ﷺ مع الخدم:

كان النبي ﷺ لطيفا رحيماً في تعامله مع خدمه إلى أبعد الحدود, فعن أنس ﷺ قال" خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله).

هديه ﷺ في الرفق بالحيوان:

كان النبي ﷺ رفيقاً بالحيوان, ويوصي أتباعه بذلك, فعن شداد بن أوس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).

ولما مرَّ ابن عمر رضي الله عنهما ببعض فتيان قريش وقد نصبوا طائراً غرضاً, ليرموه بالنبل, وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئةٍ من نبلهم! تفرق أولئك الفتية لما رأوا ابن عمر خوفاً من إنكاره وغضبه, فقال ابن عمر من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: دخلت امرأة النار في هر ربطته فلا هي أطعمته ولا هي أرسلته يأكل من خشاش الأرض حتى مات ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر... وبينا رجل راكب بقرة التفتت إليه فقالت : إنى لست لهذا خُلقت إنما خلقت للحرث , ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر.

المحاضرة الثامنة : أخلاق المهنة ومدى الحاجة إلى دراستها

تعريف المهنة:

المِهنَة لغة: تطلق على بذل النفس في الخدمة والحذق فيها. وبهذا المعنى ورد قول النبي ﷺ: (ما على أَحَدِكم لو اشترى ثَوْبَيْن ليوم جمعته سوى ثَوْبَي مَهْنَته). أي سوى ثوبي الخدمة والعمل, إذ إن ثوب الخدمة والعمل يكون مبتذلاً ولا يصان, ولا تتم المحافظة على نظافته. وبهذا المعنى أيضاً ما ورد عَنْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها, حين سئلت عن مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ فقَالَتْ: "كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ, فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ". وفي حديث آخر قالت: "كان يفعل ما يفعل أحدكم في مهنة أهله, يخصف نعله, ويخيط ثوبه, ويرقع دلوه".

وتطلق المهنة في اللغة أيضاً على الحذق والمهارة في العمل أو الحرفة التي يمتهنها صاحبها.

وفي الاصطلاح المعاصر تطلق المهنة على: الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية ومجموعة من الممارسات والخبرات التدريبية, يؤديها الفرد من خلال ممارسته للعمل. أو هي: عمل يحتاج إلى معارف عقلية وخبرة ميدانية. كالطب, والهندسة, والتدريس, والمحاسبة.

مرادفات لفظ المهنة:

الحرفة:

هناك ألفاظ قريبة في معناها من المهنة, كالحرفة والصنعة والعمل والوظيفة . وفيما يلي بيان لمعانيها وأوجه الفرق بينها:

الحِرفة : لغةً: الصنعة أو وسيلة لكسب الرزق منها بصفة مستمرة, من زراعة أو صناعة أو تجارة, وتحتاج إلى تدريب قصير. وسميت بذلك لأنه مُنْحرِف إليها. ويقال حِرْفَتُهُ أنْ يفعل كذا: أي؛ دأبه وديدنه. والاحتراف: هو الاكتساب.

وليس للاحتراف معنى اصطلاحي خارج عن المعنى اللغوي. وغالباً ما **تستعمل في الأعمال اليدوية سواء كانت بآلة أو بغير آلة**. من ذلك ما ورد أن أبا بكر الصديق ﷺ لما استُخْلِف, وكان تاجراً, فأراد أن يخرج لتجارته, فقال له عمر: إلى أين؟ قال: أحترف لأهلي. قال: ومن لمصالح المسلمين وإدارة شؤونهم. ارجع ويُصرف لك من بيت المال حاجتك, فرجع فجعلوا له ألفين. فقال: زيدوني فإن لي عيالاً, وقد شغلتموني عن التجارة, فزادوه خمسمائة. وقال أَبُو بَكْرٍ رضي الله ﷺ "لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي, وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ, فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ, وَيَحتَرِفُ –أي أبو بكر- لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ". فعمل أبي بكر ﷺ وأرضاه كان في **التجارة**, وقد سماه **حرفة**.

العمل:

العمل لغةً: المهنة و الفعل. والفوارق بينه وبين كلٍ من المهنة والحرفة هي:

أ- أن العمل قد يكون من الإنسان أو الحيوان, والحرفة لا تكون إلا من الإنسان. فالثور الذي يحرث الأرض يعمل, والطائر الذي يبني لنفسه عشاً يعمل, ولكن لا يُقال إنه محترفٌ أو ذو مهنة.

ب- العمل قد يكون ذهنياً, وقد يكون بدنياً, وأما الحرفة فالغالب أنها تُطلق على الأعمال اليدوية.

ج- العمل يستعمل للمرة الواحدة ولأكثر,ولا يحتاج تدريب, بخلاف المهنة أو الحرفة فلا بد من التدريب والاستمرارية

الصنعة:

الصنعة لغة: ترتيب العمل وإحْكامه على النحو الذي تعلمه, وبما يوصل إلى المقصود منه. فيقال للنجار صانع, ولا يقال للتاجر صانع؛ لان النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب, وكذا سبق علمه بالأسباب التي توصله إلى المقصود منه, وأما التاجر فلا يعلم إذا اتجر هل سيصل إلى ما يريده من الربح أم لا ؟.

الفرق بين الصنعة والعمل: يمكن تلخيص أوجه الفرق بين الاثنين فيما يأتي:

أ- العمل يُطلق على ما يصدر من الإنسان أو الحيوان, بينما لا تُطلق الصنعة إلا على ما صدر من الإنسان.

ب- العمل لا يتطلب العلم بما يعمل له, بخلاف الصنعة فإنها تتطلب العلم والمهارة, بل إن الصنعة لا تُطلق إلا على ما كان بإجادة, وفيه معنى الحرفة.

ج- الصنعة أخص والعمل أعم. وكل صنعةٍ عملٌ، وليس كل عملٍ صنعةً.

الوظيفة:

الوظيفة لغةً: ما يقدَّر من عمل أو طعام أو رزق في زمن معيَّن، وتأتي أيضاً بمعنى الخدمة المعيَّنة.

وفي الاصطلاح المعاصر: تطلق على وحدة من وحدات العمل, تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل, ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر. كالمحاسبة مثلاً فإنها وظيفة, تحتوي على مجموعة من الأنشطة من جمع للبيانات والفواتير, وتصنيفها وإدخالها في الحاسوب, وجمعها, , وهكذا... وقد يكون للشركة محاسب واحد أو أكثر .

خصائص المهنة:

1) تقديم خدمات أساسية ومفيدة للمجتمع.
2) حاجتها إلى الإعداد العلمي من خلال برامج ذات أهداف محددة وواضحة, ومن جهات علمية معترف بها.
3) لكل مهنة معارف ومهارات خاصة بها.
4) لكل مهنة قوانين وآداب تنظمها, وتحكم العمل بها.
5) غالباً ما يوجد في وقتنا الحالي تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها كالنقابات والجمعيات.
6) لكل مهنة معالمها الواضحة التي تميزها عن غيرها من المهن.

الحكم الشرعي للمهنة:

الإسلام يحث على العمل, ويرفع من شأنه. ففي سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي سير الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وفي سير سلف الأمة وأئمتها يجد أنهم جميعاً قد مارسوا مختلف المهن من تجارة ورعي وزراعة وخياطة وحدادة وغيرها. من ذلك مثلاً: قول الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام: [وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ] واللبوس: الدروع.

وقول الرسول ﷺ: (ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده, وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده).

وقوله: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة).

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كان آدم عليه السلام حراثاً (زراعاً), وكان إدريس خياطاً, وكان نوح نجاراً, وكان هود تاجراً, وكان إبراهيم راعياً (و ورد بزازاً أي تاجراً يبيع الملابس), وكان داود زراداً (أي حداداً), وكان سليمان غواصاً, وكان موسى (راعياً) أجيراً, وكان عيسى سياحاً, وعمل محمد ﷺ في التجارة والرعي كما أخبر عن نفسه ﷺ ".

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ : "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا؛ سقط من عيني". وفي هذا القدر كفاية, إذ ليس الغرض الحصر والاستقصاء.

تعريف أخلاق المهنة:

هي التوجيهات النابعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها أفراد المجتمع, والتي ينبغي للشخص أن يتحلى بها أثناء ممارسته للمهنة.

الفرق بين أخلاق المهنة وأنظمتها:

أ- أخلاق المهنة تهتم بما ينبغي فعله، وبما يُجَمِّل صورته أمام الآخرين, ويكسبه احترامهم, وأنظمتها تهتم بما يجب فعله.

ب- من يخالف أخلاق المهنة يستحق اللوم والعتاب, ومن يخالف أنظمتها يستحق العقوبة الزاجرة,ولا يكفى باللوم والعتاب.

مصادر أخلاق المهنة:

نصوص الشريعة كتاباً وسنةً هي مصدر التكاليف الشرعية عامةً بما فيها الجانب الأخلاقي, وأخلاق المهنة بصفتها تمثل جانباً من جوانب السلوك الأخلاقي, فإن مصدرها أيضاً هو الشرع,عهلى سبيل المثال: قول الله تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] . وقوله تعالى: [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ, يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] , فهذه الآيات وغيرها كثير, تؤكد أن الحياة السعيدة الهانئة الطيبة إنما هي في اتباع شرع الله, وليس غيره, ويقول الرسول ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

مدى الحاجة إلى دراسة أخلاق المهنة:

لكل مهنة أخلاق وآداب عامة تحددها القوانين واللوائح الخاصة بها, ومن خلال مراعاتها تتم المحافظة على المهنة ومكانتها. وكثيراً ما تجمع هذه الآداب والأخلاق في عصرنا هذا في وثيقة واحدة, يطلق عليها **ميثاق الشرف المهني**.

ومن المعلوم أن مجموع المهن في المجتمع (كالتدريس والقضاء والطب والهندسة والمحاسبة وغيرها) هي الأداة المنفذة لأهداف وتطلعات أبناء المجتمع، فإذا فقد العاملون فيها آداب وأخلاق مهنتهم، كان ذلك نذير شؤم عليهم، وعلى مجتمعهم, وكان دليلاً على قرب نهايتهم, فكما يقول الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

.

صفات الميثاق الأخلاقي:

لكي يحقق الميثاق الأخلاقي أهدافه يجب أن يتصف بما يلي:

1. أن تكون مواده منسجمة مع قيم المجتمع ومبادئه.
2. أن تكون مختصرة.
3. أن تكون سهلة وواضحة.
4. أن تكون معقولة ومقبولة من الناحية العملية.
5. أن تكون شاملة.
6. أن تكون إيجابية.

المحاضرة التاسعة : الأخلاق الجامعة للمهنة : الطهارة المهنية

(ملاحظة : يوجد في نهاية الملخص خمسة جداول مختصرة للمحاضرات 9+10+11+12+13 لمن أراد الاختصار وهي للمواضيع الطهارة المهنية , الاستقامة المهنية , التعاون المهني , الأمانة المهنية , المحبة المهنية)

للمهنة عناصر أربعة هي: **العامل ورب العمل والمستفيد والمجتمع**.

ويُقصد **بأخلاق المهنة هنا تلك الصفات التي تنشد الكمال في هذه العناصر الأربعة**.

أخلاق المهنة خمس مجموعات هي: الطهارة المهنية, الاستقامة المهنية, التعاون المهني, الأمانة المهنية, المحبة المهنية.

(المجموعة الأولى من أخلاق المهنة) الطهارة المهنية:

- **تعريفها :**

الطهارة لغة: مصدرٌ من طَهُرَ يَطْهُرُ, وتعني النظافة والنقاء والتنزه عن الأقذار, حسية كانت تلك الأقذار أو معنوية. والطاهر هو: البرئ من العيوب, وهو النزيه, والشرِيف.

في الشرع: تطلق على غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة(أي رفع الحدث الأصغر أو الأكبر),أو إزالة نجاسةٍ.

- **أقسام الطهارة:**

حسية: وتتحقق برفع الحدث أو إزالة النجس أو ما في معناهما وعلى صورتهما.

معنوية: وتتحقق بترك الذّنب وتنقية النّفس من العيوب.

- **تحقق الطهارة المهنية:**

تدخل الطهارة المهنية تحت الطهارة المعنوية, وتعني تطهير المهنة وتنزيهها عن النقائص والعيوب، ويتحقق ذلك من خلال المحافظة على أمرين:

السمعة الطيبة ممن يقدم المهنة: وذلك بأن يترفع عن النقائص والعيوب ويتصف بسمعة طيبة.

جودة الأداء: وذلك من خلال تنزيه المهنة نفسها عن العيوب والنقائص.

- **شروط الطهارة المهنية:**

يشترط في المهنة لتتصف بالطهارة أن تتوافر فيها ما يأتي:

1- أن يمتلك كلٌ من العاملِ ورب العمل صفحة بيضاء في سجل المهنة, ويتمتع بسيرة طيبة (أي: شهادة حسن سلوك) وأن يحرص على استمرارها كذلك. فلو عُرف عن قاض أو موظف قبوله للهدية تلوثت صفحته المهنية، ولم تعد بيضاء, ولو عرف عن طبيب تتبعه لعورات النساء تلوثت صفحته، ولو عرف عن تاجر غشه تلوثت صفحته ... وهكذا.

2- أن يلتزم كلٌ من طرفي المهنة (العاملُ وربُ العمل) بالقواعد المنظمة لممارستها. فرب العمل يجب أن يحصل على ترخيص مزاولة المهنة قبل ممارستها، وأن لا يتعاقد مع من لم يستوف شروط التعيين (كالسن القانونية, والمؤهل الدراسي

وغيرها)، وإلا تلوثت صفحته المهنية، كما يجب أن يكون العامل مستوفياً شروط التعيين (كأن يكون حاصلاً على المؤهل الدراسي في المهن التي تشترطه كالطب والصيدلة والهندسة, وأن يكون ضمن حدود السن القانونية المحدد).

3- أن يمتلك العامل الخبرة المطلوبة في الأعمال التي يستلزم ممارستها خبرة. كممارسة مهنة المحاماة فلا يمارسها إلا من أمضى فترة محددة بعد تخرجه لدى محامٍ آخر متمرس, وكالعمليات الجراحية, فلا يقوم بها إلا من مارسها فترة محددة بعد تخرجه تحت إشراف طبيب آخر جراح متمرس، وكالمناقصات أو المزايدات الكبيرة فلا يقوم بها عامل مبتدئ، وكإنتاج المصنوعات التي تحتاج إلى تقنية عالية فلا يشرف عليها إلا خبير.

4- أن يكون صاحب المهنة (سواء أكان عاملاً أم رب عمل) متقناً لمهنته، متمكناً منها, وأن يتصف المنتج بالجودة, وإلا كان غاشاً في عمله.

فإذا افتقد أي شرط من هذه الشروط كان ذلك مَسَّاً بخلق الطهارة المهنية, ومخالفاً لما يتطلبه

- **التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية:**

لا تقوم مهنة معتبرة بغير طهارة، ومن ثَمَّ كان الحد الأدنى من هذه الطهارة ضرورة لازمة, ومطلباً لا غنى عنه.

وهذه الضرورة استلزمت صدور قوانين تنظم وضع كل مهنة، و دفعت الجهات المختلفة إلى وضع صيغٍ للعقود تتضمن الشروط والضوابط التي يجب على المتعاقدين الالتزام بها بشكل مباشر أو غير مباشر كالإحالة إلى عرفٍ أو جهة. وبذلك تحولت تلك الصفات الأخلاقية من أخلاقٍ كريمة مرغوب فيها إلى التزام واجب, يترتب على مخالفتها المساءلة القضائية.

إلا أن الإحاطة بخصال الطهارة المهنية من خلال تلك القوانين والعقود غير ممكن لكثرة وتشعب تلك الخصال, ولاتساع ميدانها, الذي هو ميدان الفضيلة والسمو, ومن ثَمَّ كان الزائد عن حد الضرورة أو الواجب مما لم ينص عليه العقد أو القانون هو المراد بخصال الطهارة المهنية، وهو الذي يدخل في أخلاق وآداب المهنة، ويترتب على الإخلال بها المساءلة الأخلاقية دون القضائية.

وهنا يجب علينا أن ننبه لأمرين :أولهما- لكل مهنة ما يناسبها من أخلاق الطهارة المهنية, فما هو مطلوب لمهنة القضاء قد يختلف عن ما هو مطلوب لمهنة الطب أو الصيدلة أو التجارة وهكذا. وما يلزم القاضي للحفاظ على سمعته الطيبة, يختلف عن الذي يلزم الطبيب, أو التاجر, ويقال الشيء نفسه عن آداب ممارسة المهنة.

ثانيهما- المقصود هنا ما يؤثر على سمعة المهنة وطهارتها على وجه الخصوص، وليس الأوجه الأخرى للطهارة الخُلقية التي لا شأن لها بالمهنة كسمعته بين أهله أو لدى جيرانه مثلاً.

- **أدلة الطهارة المهنية:**

يدل لخلق الطهارة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله ﷺ, منها:

1- قول الله تعالى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} والإتقان والجودة معنى من معاني الطهارة المهنية.

2- ومنها قوله تعالى: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام, وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}, **فالكف عن الفساد والإفساد والترفع عنهما من خلق الطهارة المهنية؛ لأنها من باب التنزه عن النقائص والعيوب**.

3- ومنها: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً, وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} فالتواضع, ولين الجانب, والإعراض عن السفيه, كل ذلك من خلق الطهارة المهنية, وتحقق لصاحبها السمعة الطيبة.

4- قول النبي ﷺ : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). وفيه دلالة على طلب الإتقان في العمل، وجودة الأداء, وهو من خلق الطهارة المهنية.

5- وقوله ﷺ : (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...). وفيه دلالة على أهمية السمعة الطيبة والسلوك القويم من خلال الحرص على مجالسة الصالحين، إذ المرء على دين خليله, وهو من معاني الطهارة المهنية.

6- وقوله ﷺ : (من غش فليس منا). فالترفع عن الغش من خلق الطهارة المهنية, ويحقق لصاحبه السمعة الطيبة.

- **مظاهر الطهارة المهنية عند الفقهاء:**

تكلم فقهاؤنا عن الطهارة المهنية التي تعني السمعة الطيبة, والسيرة الحميدة, وجودة الأداء والإتقان, وإن لم يسموها بهذا الاسم. وسنعرض فيما يأتي أمثلة من باب القضاء على سبيل التمثيل والبيان وليس الحصر:

بطلان تولية الفاسق القضاء: لا يجوز تولية الفاسق القضاء مع وجود القاضي العدل, وإن تمَّ ذلك فهو باطل, وذلك حفاظاً على سمعة القضاء وسمعة القاضي ، ولتحقيق جودة الأداء في الحكم، وإقامة العدل بين الناس.

تحريم تولية الجاهل القضاء: يحرم تولية الجاهل القضاء مع وجود العالم؛ للحفاظ على جودة الأداء، وتحقيق العدالة

كراهة تولية المفضول القضاء: يكره تولية المفضول القضاء مع وجود الفاضل (أو الأفضل)؛ للحفاظ على جودة الأداء .

و أيضاً في باب **الإمامة في الصلاة**، وفي **الولاية في النكاح**، وفي **الولاية على المال للقُصَّر** (كالمجنون والسفيه واليتيم)، وفي **ناظر الوقف**، وفي **ولاية الحسبة** وغيرها كثير.

ومن هذا الباب ما تطلبه جهات العمل أو التعاقد من المدرس أو الموظف أو الطبيب شهادةً بحسن سلوكهم.

ومنه ما نجده في بعض المواثيق من النص على أنه يفصل من العمل من يرتكب ما يخل بالآداب العامة في مكان الوظيفة، كالسرقة مثلاً، أو جريمةً تمس الشرف أو الأخلاق أو الأمانة وهكذا.

المحاضرة العاشرة : الاستقامة المهنية

(المجموعة الأولى من أخلاق المهنة) الاستقامة المهنية:

تعريفها

الاستقامة لغة: مشتقة من القيام, وتعني الثبات والدوام والملازمة والاستمرار على الشيء,وتفيد معنى الاعتدال والاستواء.

قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ} , أي: فما استمر وثبت أولئك المشركون معكم على العهد, فاستمروا أنتم معهم واثبتوا.

والثاني قول النبي ﷺ للمأمومين خلفه في صلاة الجماعة: (أقيموا صفوفكم). أي اعتدلوا واستووا ولا تختلفوا.

في الاصطلاح : تفيد الاعتدال في أداء المهنة ، وملازمة المهنة والوفاء بمصالحها من الطاعة والمشورة والصدق .

شروط الاستقامة المهنية:

لكي تتحقق الاستقامة المهنية (أي الاعتدال والاستقرار والوفاء بمصالحها) لابد من توافر الشروط التالية:

1- **حرص كل واحد من الطرفين على الآخر**: كل واحد من طرفي العقد(العامل ورب العمل)مطالبٌ بالتحلي بالصفات الأخلاقية الحميدة التي تغرس في نفس صاحبه الثقة والطمأنينة, وتشعره بحرصه على الاستمرار في التعاقد معه. وقد حث الشرع على هذا, ففي الحديث القدسي: "أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما".

2- **مطاوعة الزملاء**: فالثبات والاستقرار والاستمرار في المهنة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان كل واحد يراعي مشاعر صاحبه, ويحترم رأيه, ويتنازل له عن بعض ما يراه, وفي بيان أهمية ذلك نجد النَّبِيُّ ﷺ ، يوصي به أَبَا مُوسى الأشعري وَمُعَاذ بن جبل حين أرسلهما إِلَى الْيَمَنِ، فيقول لهما: "يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا".

3- **طاعة الرؤساء**: في المهنة ضرورة , وإلا كانت الفوضى, وكان الاضطراب, وكان الإضرار بالمهنة واستقرارها ومصالحها, القرآن يأمر بطاعة ولاة الأمر قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}

4- **عدم التغيب عن العمل إلا في حالات الضرورة**: التغيب عن العمل يضر به, ويتنافى مع مصالحه, والأنظمة والقوانين تعاقب على ذلك, الفرد قد يتغيب لظروف خاصة, ويكون معذور, والمطلوب منه أن يجعل مصلحة العمل نصب عينيه, لأنه من مقتضى الوفاء بالعقود, والله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ}.

5- **الالتزام بمنهج الشورى**: الالتزام بمنهج الشورى مطلب ضروري للاستقامة المهنية, وإلا كان الوقوع في شَرَك الاستبداد بالرأي, وتحكيم العقل الواحد, والرؤية الواحدة, وهو ما ينعكس سلباً على مصلحة العمل واستقراره, ومن هنا فقد أخبرنا الله أن الشورى من صفات المجتمع المسلم, تنبيهاً إلى أهمية الالتزام بها, فقال تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} و أمر نبيه ﷺ بالشورى, فقال تعالى : {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}

6- **الالتزام بالصدق**: ضرورة لتحقيق الاستقامة المهنية, إذ لا يمكن للمهنة أن تستقر وتستمر وتتحقق مصالحها من غير الاتصاف بالصدق, قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} .

التوجيه الفقهي لخلق الاستقامة المهنية:

ما أسلفناه في حديثنا عن الطهارة المهنية من ضرورة توافر الحد الأدنى منها يقال هنا أيضاً وفي كل خصال أخلاق المهنة, فالحد الأدنى منها لا بد منه, وقد نصت عليه القوانين والعقود, فخرجت من مجرد خصال أخلاقية إلى واجبات ملزمة, يترتب على الإخلال بها مسؤولية قضائية. غير أن القوانين والعقود لن تحيط بكل خصال الاستقامة المهنية, لأن العقود تستحدث باستمرار والوقائع تتجدد دائماً, ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى المزيد من هذا الخلق, بحيث يتحقق الغرض منه.

وننبه هنا أيضاً إلى ما أسلفناه في خلق الطهارة المهنية من أن:

1- الاستقامة المهنية تختلف في بعض جوانبها من مهنة إلى أخرى, أي أن الاستقامة المهنية المطلوبة من القاضي تختلف في بعض جوانبها عن المطلوبة من الطبيب أو التاجر أو المدرس.

2- كما أننا لا نبحث هنا إلا في الاستقامة ذات العلاقة بالمهنة وما يؤثر فيها, ولا شأن لنا بعلاقاته الأسرية أو الاجتماعية.

أدلة الاستقامة المهنية:

دلت آيات وأحاديث كثيرة على طلب هذا الخلق من المسلم من ذلك:

قوله تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] وجه الدلالة في الآية أنها تطالب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بالاتصاف بخلق الاستقامة , وهي عامة، فيدخل فيها الاستقامة المهنية أيضاً؛ لأنها فرع عنها.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} أي أن هؤلاء العباد المؤمنين الصالحين الواقفين عند حدود الشرع يتصفون بالاعتدال حتى في الإنفاق في أوجه البِر والخير, ويتجنبون الإفراط والتفريط لمنافاتها لخلق الاستقامة, وإذا كان الاعتدال مطلوباً في الإنفاق في سبل الخير فيكون مطلوباً في غيره من الأمور المباحة من باب أولى.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}

أحاديث شريفة واردة في معناها تدل على طلب تلك الخصال الخلقية من ذلك:

قوله ﷺ لسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ حين جاء إليه يقول: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ. قَالَ: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ" فقد أمره ﷺ بالاستقامة من غير تخصيص بجانب معين من جوانب الحياة, فيكون شاملاً ومستغرقاً لجميعها.

قول الرسول ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي ما أقام فيكم كتاب الله". وهو يدل على وجوب طاعة الرئيس, وإن لم يكن يراه أهلاً لذاك المنصب.

مظاهر الاستقامة المهنية عند الفقهاء:

مظاهر الاستقامة في بعض المهن كالحُكْمِ والقضاء والمعاملات المالية:

العدل في المعاوضات المالية: الأصل في المعاوضات المالية أنها تقوم على التراضي بين طرفي العقد, والأصل في الطرفين أنهما عاقلان بالغان راشدان يدركان مصلحتهما, ومن ثمَّ فإن الشرع يتركهما لإرادتهما واتفاقهما, ولا يتدخل بينهما, إذ ليست مصلحة أحد الطرفين بأولى من الآخر, إلا أن بعض الأشخاص قد يتعرض للخديعة أو الاستغلال من الطرف الآخر لظروف خاصة, فعندها يتدخل الشرع ليحمي الطرف الضعيف, ومن هذا الباب ما يحصل للمسترسل. **والمسترسل هو: الشخص الذي يتصف بسلامة السريرة, ويجهل قيمة السلعة, ولا يحسن المساومة, فيطمئن إلى صدق البائع, ويستسلم له, فيستغل البائع ذلك فيه, فيبيعه بغبن فاحش** (أي بزيادة كبيرة لا تكون عادة بين المتبايعين, وإنما تحصل هنا استغلالاً لحالة المشتري واسترساله) فقد قال الرسول ﷺ في النهي عن ذلك: "غبن المسترسل حرام"، وفي بعض الروايات: "ربا". أي أن خداعه واستغلاله حرام شرعاً, وأن تلك الزيادة ربا, ولا تحل له. وقد ورد أن أناساً أخبروا النبي ﷺ عن رجل يُستغل ويُغْبَنُ (أي يُخدع) في بيعه, فقال له النبي ﷺ: "إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ"، والخلابة هي الخديعة. أي أني اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني، فإذا تبين أنك قد خدعتني, فلي الخيار في إبطاله. ولا شك أن هذا الخداع وهذا الاستغلال منافٍ للأخوة الإيمانية, وخارجة عن العدل الذي جاء به الشرع, ومصادمة لخُلق الاستقامة المهنية.

العدل في المكيال والميزان:

قال تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...}. فالمطلوب هو العدل في جميع مجالات الحياة, ومع جميع الناس, مهما اختلف الزمان أو المكان أو الجنس أو الدين. ومن ذلك العدل في المكيال والميزان, فقد ورد التأكيد عليه في أكثر من موضع في القرآن الكريم, لأهمية المال وخطورته, وتطلع النفوس إلى المزيد منه, بل إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم المطففين, أي المتلاعبين بالمكاييل والموازين, فحذرت من هذا الفعل أشد التحذير, وخوفتهم من المصير الأليم الذي ينتظرهم في القيامة. قال تعالى: {ويل للمطففين, الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون, وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون, ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون, ليوم عظيم, يوم يقوم الناس لرب العالمين} فالعدل من خلق الاستقامة المهنية, والتطفيف في المكاييل والموازين ينافيه, ويجب الابتعاد عنه.

الالتزام بمتطلبات المهنة وبأدائها على وجهها المطلوب:

أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بأداء المهنة على وجهها المعروف في صور المعاوضات المالية، وعدم الإخلال بمتطلباتها اللازمة؛ لقولة تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ} ولا يخفى ما لهذا من أثر طيب وإيجابي على تحقيق الثبات والدوام والاستقرار للمعاملات، وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية.

الشورى:

ويمكن تعريف **الشورى بأنها مراجعة الآخرين من أهل الاختصاص والخبرة؛ لأخذ رأيهم في الموضوع الذي ينظر فيه, ثم العمل بموجبه**. وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية، ومطلوبة بصورة أكيدة كما أسلفنا في الشروط. قال تعالى مخاطباً نبيه: {وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله}, وقال تعالى: {وأمرهم شورى بينهم}.

المحاضرة الحادية عشرة : التعاون المهني

تعريف التعاون المهني:

التعاون لغة: المساعدة، مِنْ عاونه وأعانه إذا ساعده. والمعاون: المساعد.

والتعاون المهني في الاصطلاح وهو المساعدة على أداء المهنة. أي **المساعدة في إيجاد المهنة, وأداء مهامها بروح الفريق الواحد**..

تحقيق التعاون المهني يوجب على أطراف المهنة أن يسعوا إلى تحقيق أمرين هما:

1- تسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره بين أطراف المهنة من عاملين وأرباب عمل أو رؤساء.

2- الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس باعتبارها ثمرة لتسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر.

شروط التعاون المهني:

لتحقيق معاني الأخوة والاحترام والصبر والتناصح والتنافس الشريف لابد من **توافر الشروط التالية**:

استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة: قال تعالى: {إنما المؤمنون أخوة} وهذه أولى وأهم الشروط لتحقق التعاون المهني, , فالأخوة تستلزم المحبة والسماحة والنصح وغيرها, وقد بين الرسول ﷺ تلك المعاني في قوله: "المسلم أخو المسلم, لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره, بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم, كل المسلم على المسلم حرام, دمه وماله وعرضه".

إنكار الذات: والترفع عن الأنا من ضرورات التعاون المهني,وبقدر ما يستطيع التخلص منها, يكون استعداده للتعاون أكبر, ويكون محبته للخير للآخرين أعظم , ودليل استكمال الإيمان:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه"

السماحة في المنهج: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى". فالسماحة وكرم النفس من ضرورات التعاون المهني, وبدونها يكون التشاحح, والتباغض, والتدابر.

الصبر على المكاره: من غير الصبر لا يمكن أن يتحقق التعاون المهني, إذ لا بد أن يجد كل واحد من زميله أموراً لا تعجبه, فإن لم يوطن نفسه على الصبر, كان الصِدام. قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

بذل النصيحة: عن تميم الداري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم". فالتعاون يستدعي بذل النصيحة ضرورة.

المنافسة الشريفة: التنافس الشريف فيما هو لصالح المهنة ولما فيه خيرها أمرٌ مفيدٌ ومطلوب, وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "من قتل قتيلا، فله سلبه". وما ذلك إلا للتشجيع والمنافسة والحث على المزيد من البلاء في المعركة.

التوجيه الفقهي لخلق التعاون المهني:

التعاون المطلوب في كل مهنة بحسب طبيعتها:

التعاون المطلوب بين المدرسين يختلف عن التعاون المطلوب بين الطبيب والمريض, أو طاقم الطائرة... وهكذا.

و لا شأن لنا بالجوانب الأخرى التي لا تتصل بالمهنة كالتعاون بين أفراد الأسرة أو الجيران ... ونحو ذلك.

أدلة التعاون المهني:

1- قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ}.

قال تعالى على لسان ذي القرنين: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً} . فهذا ذو القرنين وهو مَنْ هو في قوته ودهائه يطلب الإعانة لإنجاز ما هو مطلوبٌ منه, فالفرد قليل بنفسه, كثير بإخوانه.

قال تعالى: {إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} . وقد سبق أن بينا في الشروط معاني هذه الأخوة وضرورتها للتعاون المهني.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} .الآية تأمر بالصبر و المصابرة, وهي أشد وأبلغ من الصبر, حيث فيها حمل النفس على المزيد من التحمل والثبات.

قول الرسول ﷺ: "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم". ومعلومٌ أن ممارسة المهنة تستلزم المخالطة, إذ لا يتصور ممارستها بمعزل عن الناس, وإذا تمت المخالطة فلا بد أن ينتج عنها الأذى بقصد أو بغير قصد, ومن ثم كان الصبر مطلوباً كما حث عليه الحديث الشريف.

قوله ﷺ: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم". وبذل النصح وجه من وجوه التعاون على الخير, وعلى ما فيه النفع والفائدة.

قوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة".

مظاهر التعاون المهني عند الفقهاء:

الإقالة في العقود: والإقالة تعني **فسخ العقد وإبطاله برضا الطرفين**؛ بناءً على طلبٍ من أحدهما بعد إبرام العقد ولزومه وترتب آثاره . وقد أجمع الفقهاء على أن **الإقالة مندوبة**؛ **لأنها من باب التعاون على البر**، ويقول فيها ﷺ: "من أقال مسلماً عثرته، أقال الله عثرته يوم القيامة". والإقالة قد تكون بين متعاقدين ، أو مريض مع طبيب، أو مهندس أو شركة.

عدم الخطبة على خطبة أخيه وعدم البيع على بيعه: قال ﷺ: "لا يخطب أحدكم على خِطبة أخيه, ولا يبع على بيع أخيه, إلا بإذنه". أي أن **الشرع ينهى عن المزاحمة والمنافسة غير الشريفة**, والتي من شأنها أن توغر الصدور, وتجلب الكراهية والحقد, لما في ذلك من المنافاة لحقوق الأخوة والتعاون التي يجب أن تسود العلاقات بين الناس, لأن مثل هذا العمل ينافي خلق الأخوة والتعاون, وعلى العكس من ذلك يؤدي إلى التدابر والتنافر, والتنافس غير الشريف, ولا شك أن الشرع لا يرضى لأتباعه مثل هذه الأخلاق المشينة والمذمومة, فالله عز وجل يحب معالي الأمور, ويكره سِفسافها.

التصريح بما في السلعة من العيوب:

بذل النصح واجب للمسلم على أخيه المسلم, فقد كان رسول الله يأخذ على الناس فى البيعة بذل النصيحة كما يأخذ عليهم الفرائض، يقول جرير: "بايعت رسول الله على السمع والطاعة، فشرط عليَّ: والنصح لكل مسلم"، وهذا الخُلق يتطلب من البائع أن يذكر كل عيب يعلمه في سلعته, أو يخبر المشتري بأنها مغشوشة مثلاً, فيبذل له النصيحة, وإلا كان كاتماً للعيب, غاشاً له, والنبي ﷺ يقول: "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِى بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا". فكتمان العيب محرم, ويمحق بركة البيع في الدنيا, ويُعَرِض فاعله للعذاب في الآخرة. قال بعض أئمة السلف : (لا يحل لامرئٍ بيعُ سلعةٍ يعلمُ بها داءً إلا أخبره). ويقال مثل ذلك في المشتري, إن وجد أن السلعة تستحق أكثر مما يطلبه البائع, وأن صاحبها يجهل قيمتها, فالذي يتطلبه الخلق القويم أن يخبره بذلك, وقد ورد أن جرير بن عبدالله – راوي الحديث- اشترى فرساً فطلب صاحبها منه مائتي درهم, فوجد جرير أن الفرس تستحق أكثر, وأنه يجهل قيمتها, فزاده في سعرها حتى أوصلها إلى ثمان مائة درهم, ثم ذكر الحديث السابق "والنصح لكل مسلم".

المحاضرة الثانية عشرة : الأمانة المهنية

تعريف الأمانة المهنية:

الأمانة لغة: عكس الخيانة، وتفيد الأمن والاطمئنان وعدم الخوف.

قال تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}

وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

الأمانة المهنية في الاصطلاح, تعني **الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها, وعدم الخيانة** فيها، **وتتمثل في أصول ثلاثة** هي:

1- **ما يخص حقيقة المهنة**: بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة, والحفاظ على كل ما يعرف عند الناس بأنه إفشاءه نقض للعهد، وخيانة لأسرار المهنة.

2- **ما يخص التصرف في المهنة**: بالحفاظ على مصالح المهنة الحقيقية، وعدم تقديم مصالحه الشخصية على مصالح المهنة؛ فلا يسرف في الإنفاق فيما يستلزم الإنفاق، ولا يستغل مهنته أو منصبه من أجل مصالحه الشخصية.

3- **ما يخص وسيلة المهنة**: سواءٌ في الوصول إليها أو في أدائها؛ فيجب أن تكون مشروعة لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، وللوسائل حكم المقاصد؛ فلا كذب ولا غش ولا نفاق ولا غيبة ولا نميمة.

شروط الأمانة المهنية:

الشرط الأول: أن يحافظ جميع الأطراف على أسرار المهنة؛ مما يعد إفشاؤه نقضاً للعهد.

فمثلاً الطبيب يطالب بالحفاظ على نوعين من الأسرار:

أ- ما يتعلق بجهة عمله كالمستشفى فلا يفشي أسراره.

ب- ما يتعلق بالمريض ووضعه الصحي مما يعد سراً فلا يفشيه.

وعليه **فلا يدخل في أسرار المهنة**:

ما لا علاقة له بالمهنة؛ كأن يعترف المريض أمام الطبيب بأنه قد ارتكب جريمة أو جناية في حق آخرين، أو أنه اعتدى عليهم, فهذه لا علاقة لها بالأسرار الطبية ويجب الكشف عنها إذا تعلقت بها حقوق للآخرين.

ما لا يعد سراً بين الناس، ولا يعد الكشف عنه نقضاً للعهد؛ كأن يذكر اسم المريض أو مهنته أو مكان إقامته,

ما يعد سراً، ولكن إفشاءه في تلك الحالة مطلوب لجهات معينة؛ لتعلق مصالحهم بالكشف عنها. وذلك عند وجود نزاع حول حق يتوقف البت فيه على الكشف عن نتيجة الفحوصات الطبية التي تم إجراؤها؛ ففي هذه الحالة يجب الكشف عنها للأطراف المتنازعة, وإن كانت تبقى أسراراً بالنسبة إلى غيرهم, لأن الكشف إنما هو للضرورة, والضرورة تقدر بقدرها,

والمستشفى تحتفظ بنوعين من الأسرار:

أ- **ما يتعلق بالطبيب** : من حيث أجرته أو الجزاءات الإدارية الواقعة عليه مثلاً.

ب- **ما يتعلق بالمريض**: مما يعد كشفه نقضاً للعهد، ومضراً به.

والمريض أيضا يحتفظ بنوعين من الأسرار:

1) ما يتعلق بالمستشفى, كتخفيض الأجرة مثلاً, ومراعاة ظروفه الخاصة.

2) ما يتعلق بالطبيب, كأن يكون قد عامله بصورة مخصوصة، مثل السماح له بمراجعته خارج أوقات الدوام الرسمي، أو مراجعته في بيته، أو غير ذلك؛ مما يعد الكشف عنه مزعجاً للطبيب.

الشرط الثاني:

ان يلتزم أصحاب الشأن في المهنة الرشدَ في التصرف من غير إسراف أو استغلال. فالطبيب لا يستغل ما وضع تحت تصرفه من الأجهزة في سبيل معالجة أصحابه وقرابته من غير إذن ، ولا يسرف في استعمال الأدوات الطبية .

والمستشفى لا تستغل الطبيب خارج أوقات دوامه لمصالحها، أو الكشف على مرضى غير مدرجين في قائمة عمله.

والمريض لا يستغل فرصة وجوده مع الطبيب في السؤال عن أعراض مرضية يعاني منها بعض من يخصونه .

الشرط الثالث:

أن يسلك أصحاب الشأن السبل المشروعة التي تحفظ شرف الوسيلة وشرف المقصد؛ بدون كذب أونفاق أوغش أوغيبة.

التوجيه الفقهي لخلق الأمانة المهنية:

ما **ذكرناه** سابقاً في **الطهارة المهنية وما بعدها** يتكرر هنا، ومن ثمَّ فلا داعي لإعادته مرة أخرى.

الأدلة في الحث على الأمانة المهنية:

قال الله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ} .

قال تعالى: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ} .

قال تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} .

وقال تعالى: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} .

قال رسول الله ﷺ في صفات المنافقين: "وإذا أؤتمن خان".

قال ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك".

قال ﷺ: "مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ". أي أنه لا يجوز نقل كلام شخص وإفشاؤه، حتى وإن لم يطلب كتمانه صراحة، أو يقل: هذه أمانة، بل يكفي أن يفهم منه ذلك بمجرد الإشارة والإيماء؛ كالالتفاتة التي تومئ إلى أن صاحبها يريد أن يخفي الخبر عن الآخرين، ولا يريد أن يسمعه غير من يتحدث إليه.

مظاهر الأمانة المهنية:

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال الأمانة المهنية، منها:

أولا: **المنع من استغلال المهنة**: والمقصود **باستغلال المهنة: هو تسخيرها لتحقيق مصالحه الشخصية**، أو لما يمكن أن تحقق له ذلك. ومن صورها الفقهية **قبول الهدايا**, فقد حذر الشرع من استغلال المهنة **فحرم الرشوة**, **وحرم هدايا العمال والمسؤولين التي تأخذ صورة الهدية لكنها في حقيقتها رشوة**, إذ لولا ذلك لما كانت تهدى إليه, ومن هنا أنكر الرسول ﷺ على ابن اللتبية فعله حين استعمله على الزكاة (ليجمعها) فجاء وقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ! فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: " مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ ثم حذر من عقوبة هذا الفعل يوم القيامة". وقال في حديث آخر: "هدايا العمال غلول". وقال أيضاً: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مِخْيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة".

الغلول في الأصل: أخذ شيء من مال الغنيمة أو المال المشترك قبل القسمة, وسمي غلولاً؛ لما فيه من نقض العهد, وخيانة الأمانة.

ثانياً: **المنع من الغش في المهنة**: والغش في المهنة يعني التدليس والخداع في أدائها بما يوهم السلامة، أو كثرة راغبيها لإغراء الآخرين بها، أو رفع الأجر عليهم.

والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من التدليس والخداع في المهنة هو تحريم التصرية.

والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من ادعاء كثرة الطالبين للمهنة هو تحريم النجش.

أما التصرية فهي: ترك حلب الدابة مدة من الزمن, حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ منه في ضرع الدابة، فيتوهم الراغب في الشراء أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها. وهذا العمل محرم بلا خلاف؛ لما فيه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة المهنية.

وقد وردت الأحاديث في النهي عن الغش بصورة عامة، وعن التصرية بشكل خاص؛ فقال ﷺ: "لا تَصُروا الإبل والغنم".

ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين بالشيء، وإغراؤهم به, مع كون الحقيقة على خلاف ذلك, كأن يستخدم أصباغاً أو ألواناً خادعةً تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي لها، أو أنواعاً من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها،وهذا تدليسٌ وغشٌ محرمٌ, ويخالف الأمانة الخُلقية.

النجش هو: أن يبدي الشخص رغبة في شراء سلعة, لا ليشتريها, بل لإغراء غيره بها، وللإيهام بكثرة الراغبين فيها.

وهو محرمٌ شرعاً, ومن أنواع الغش, لما فيه من خداع الآخرين, والتغرير بهم.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة في النهي عن هذا الفعل، منها قوله ﷺ: "ولا تناجشوا".

ويلحق به ما يشبهه من أنواع الغش والخداع مما يستثير الناس، ويغريهم بالشراء.

ثالثا: **الحجر على السفيه**: السفيه هو الذي لا يحسن التصرف في المال, ولا يقدر عواقب تصرفاته, فيقدم عليها بدافع الطيش والهوى, وبعيداً عن العقلانية والرشد الذي هو إصلاح المال وتنميته والمحافظة عليه.

فالسفيه عكس الرشيد, والسفه عكس الرشد. ومن صور السفه مثلاً:

أن يستهلك الممرض أضعاف المطلوب من الشاش والمراهم في معالجة جرح مريض مثلاً. أو أن يستهلك العامل أضعاف ما يحتاج من الوقود للسيارة، أو الأسلاك لتمديدات كهربائية. ونحو ذلك.

وقد طالب الشرع بالحجر على السفيه ومنعه من التصرف بأمواله, حفاظاً عليها من الضياع والتبديد, فقال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} .

ولا شك أن النهي عن هذه التصرفات (الغلول والرشوة والتصرية والنجش والإسراف) من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.

المحاضرة الثالثة عشرة : المحبة المهنية

تعريف المحبة المهنية:

المحبة تعني الميل والود والإيثار قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ] أي؛ إن اختاروا وآثروا وقدموا الكفر على الإيمان.

وللحب أنواع متعددة منها:

حب عقيدة وإيمان: وهو حب الله, وحب رسوله ﷺ ، وحب آل بيت رسول الله, وحب قراءة القرآن, وحب الإنفاق في سبيل الله, وحب الجهاد ...وهكذا. ومن ذلك ما في الحديث: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

حب فطرة وطبع: كحب الولد, وحب المال, وحب الحياة, وحب الطيب, وحب المناظر الجميلة ... وهكذا, وهي أشياء يستوي في حبها المؤمن والكافر, والكبير والصغير, والرجل والمرأة, والحضري والبدوي, والمتعلم والجاهل، فالجميع مفطورٌ عليه, كما في قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ} {آل عمران:14}. فالآية لم تقل: زين للمؤمنين, أو للنساء, أو للرجال, بل قالت: للناس فدلت على أن الجميع مفطورٌ عليه.

حب تقدير وإعجاب: كحب عقبة بن نافع, أو عبد الرحمن الداخل, أو صلاح الدين الأيوبي أو محمد الفاتح لبطولاتهم والفتوحات التي أجراها الله على أيديهم, وحب حاتم الطائي وابنه عدي لكرمهما, وحب عنترة لشجاعته, , وحب آخر للنجاحات التي حققها في حياته، ومنه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} {الحشر:9}.

حب مصلحة ومنفعة: كحبنا لمن قدَّمَ إلينا يد العون والمساعدة, يقول ابن مسعود ﷺ : "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها"ويقول الشاعر أبو الفتح البستي في قصيدته (عنوان الحِكم):

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

حب الرذائل وحب الشماتة, كحب الشر للأعداء، أو حب الفواحش والرذائل، ومن صور ذلك ما أخبر عنه القرآن الكريم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {النور:19} وما يتعلق ببحثنا هو النوع الرابع, أي؛ الحب المبني على المصلحة والمنفعة.

أصول المحبة المهنية:

إن المحبة المهنية تعني الميل تجاه المهنة لتحقيق أصول المحبة الثلاثة:

1- التوادد بمراعاة آداب اللياقة في علاقات المهنة.

2- التراحم بالإحسان إلى زملاء المهنة والمنتفعين منها.

3- التعاطف من خلال الإيثار لمصلحة المهنة.

هذه الأصول الثلاثة جمعها الرسول ﷺ في قوله: (مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

هذه الأصول الثلاثة هي جسور المحبة التي تجعل من الجماعة كأنها شخص واحد, وكذلك تجعل من الشخص الواحد ومهنته وكأنهما شيءٌ واحدٌ. فإذا تحقق هذا الاتحاد أمكن القول بأن خلق المحبة المهنية متحقق بالفعل.

شروط المحبة المهنية: يتحقق خلق المحبة المهنية إذا توافرت الشروط التالية:

تقديم مصلحة المهنة على سائر مصالحه الحياتية الأخرى: أن تكون مهنته هي الشغل الأهم له من بين أعماله اليومية الأخرى, فتفكيره في معظمه منصب على كيفية تطويرها بحيث تكون أنفع, وجهده منصب في أكثره على خدمتها بحيث تحقق نجاحاً أكبر, فهي مصدر رزقه, ومستقبلها مستقبله هو, وسمعتها الطيبة رأس مال له, واستمرارها ونجاحها نجاح له..وبهذا يكون قد أثبت إخلاصه لمهنته, وتفانيه في حبها, وبذلك يصل إلى إتقانها على النحو الذي يحبه الله ورسوله..

الانتصار للمهنة بالدفاع عنها وعن العاملين فيها: إذا أحب مهنته, وكان مخلصاً لها, متفانياً في محبتها, نتج عن ذلك بداهة دفاعه عنها, وغيرته عليها, وعلى العاملين بها, ورأى أن كل انتقاص لها أو للعاملين عليها, انتقاص له, لأنه يرى فيها نفسه, وسمعته, ومستقبله. وهذه المحبة ستدفعه إلى الوقوف في وجه كل من يشوه سمعتها, أو يسيء إليها, وإنْ كان من العاملين فيها, لأنه يرى في ذلك حمايتها والانتصار لها, وذلك بالمفهوم الذي نبه إليه الرسول ﷺ حين قال: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَصْرُهُ مَظْلُوماً فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِماً؟ قَالَ: "تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ".

إفشاء السلام لنشر المحبة وخصوصاً بين زملاء المهنة : السلام من أسماء الله, وإلقاؤه يعني تطمين المُسَلَّم عليه بأنه لن يجد الأذى أو ما يكرهه أو يخافه من جهته, , وبذلك يفتح طريقه إلى قلبه, فتتولد المحبة بينهما, قال ﷺ :"والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

طلاقة الوجه بشكل دائم: وهو تكملة للشرط السابق, فما قيمة السلام بوجه عبوس؟! السلام يجلب المحبة, ويجد طريقه إلى القلوب, إذا صاحبته البشاشة وطلاقة الوجه, لأنها دليل على ما يكنه القلب لسامع السلام, ومن ثَمَّ جاء الشرع بالحثِ عليه فقال ﷺ : "تبسمك في وجه أخيك صدقة". وقالَ: "كل معروف صدقة ... ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق".

الاعتناء بالنظافة الشخصية واختيار الزي المناسب لطبيعة المهنة: الذوق السليم يحب النظافة, وينفر من القذارة, والنظيف محبوب لدى زملائه يألف ويؤلف, وديننا دين الذوق الرفيع, ودين مراعاة المشاعر, ومن هنا حثَّ على الاغتسال لكل تجمع مثل صلاة الجمعة, وصلاة العيد, وللإحرام بالحج والعمرة, وأمرنا بأن نكون كالشامة بين الناس, والوضوء للصلوات والاغتسال أدلة على مدى حب الدين للنظافة. قال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} .

إكرام ذوي الهيئات: الناس ليسوا سواءٌ, فهناك من تردعه الإشارة, وهناك من لا يردعه إلا العقوبة القاسية, وبين المرتبتين مراتب كثيرة, بحسب تربية الشخص, وأخلاقه, واستقامته, وأصالته, وقد نبهنا ديننا إلى مراعاة ذلك, حتى لا نعتقد خطأً وجهلاً منا بمبدأ المساواة فنذهب إلى معاملة جميع الناس بنفس الطريقة فبين أن **الخطأ على قسمين**: **خطأ يستوجب إقامة عقوبة محددة شرعاً وتسمى الحدود**, وهذه **لا مراعاة فيها**, وتقام على الجميع, أياً كانت صفته أو مركزه في المجتمع لخطورة هذا النوع من الخطأ. **وخطأ لا حدَّ فيه لأنه ليس بتلك الخطورة**, لكنه لا يخلو منها, **فهذا يستوجب التعزير**. وهنا نجد أن **الشرع يميز بين من هو من أصحاب المكانة والوجاهة في قومه, وبين غيره ممن هو ليس كذلك, والسبب هو أن الغرض من هذه العقوبة التأديب والردع لئلا يعيد ذاك الخطأ ثانية, وأصحاب الهيئات يكفيهم التنبيه والإشارة**

لينتبهوا ولا يعيدوه ثانية, بخلاف غيرهم فقد لا تردعه إلا العقوبة, وهذه العقوبة تتفاوت ما بين الكلمة الزاجرة, والعقوبة الجسدية أو السجن, حسب ما يراه القاضي رادعاً له, قال ﷺ : "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود".

إراحة العاملين في المواصلات والمواعيد والإقامة: وذلك لأن هذه الأمور تشعره بأنه محل تقدير واحترام المسؤولين عنه, ولا شك أنهم أيضاً سيكونون محل محبته واحترامه وتقديره, قال رسول الله ﷺ موصياً بحسن معاملة العبيد: "إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم". وإذا كان هذا ما ينبغي له فعله مع عبده, فكيف يجب أن يكون الحال مع حرٍ مثله, وزميله في المهنة! وصدق الله إذ يقول: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ} . فالتكريم والإحسان إلى الآخر يجلب محبته وإحسانه.

الإيثار وتقديم مصالح الآخرين: الإيثار هو أن يحرم الشخص نفسه, ويقدم مصلحة الآخرين وحاجتهم على مصلحة نفسه مع شدة حاجته, وهي مرتبة فوق الإحسان في سُلَّم القيم الأخلاقية, وهي سبب رئيس للفوز بمحبة الله ومحبة العباد, وقد أثنى الله على الصحابة الأنصار لتحققهم بهذا الخلق العظيم, فقال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}. والخصاصة شدة الجوع, أي أنهم كانوا يؤثرون ويقدمون غيرهم على أنفسهم فيما يملكونه من زادٍ, مع شدة حاجتهم إليه, وليس يدفعهم إلى ذلك إلا الطمع فيما عند الله.

التوجيه الفقهي لخلق المحبة المهنية:

ما **ذكرناه سابقاً في** التوجيه الفقهي لخلق **الطهارة المهنية وما بعدها يقال هنا أيضاً**, ومن ثمَّ فلا داعي لتكراره

ثم ننبه هنا إلى أن **الأصل في الإنسان أن يختار مهنةً يحبها, وتنسجم مع ميوله وتوجهاته**, ويجد فيها راحته النفسية, إلا أن كثيرًا من الناس اليوم لم تعد محبته وميوله للمهنة هي التي توجهه، بل الدخل الأكثر, والسمعة, والمكانة الاجتماعية بين الناس! وهو ما انعكس سلباً على خُلُق المحبة المهنية, فأصبحنا نجد أناساً يمارسون مهنهم بغير رغبة منهم, ولا شعور بولاء تجاهها, بل ربما مارسوها وهم لها كارهون.

الأدلة في الحث على المحبة المهنية:

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} .

قال تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} الآية تثني على المحسنين, والإحسان من خلق المحبة المهنية.

3- عن أنس بن مالكٍ، قالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلِّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِغَ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا

هِجْرَةٍ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثِ مَجَالِسَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ آوِي إِلَيْكَ فَأُنْظِرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ".

فهذا الرجل لم يقدم مقداراً زائداً من العبادة أكثر من غيره بحيث تكون هذه الزيادة هي السبب وراء استحقاقه ذلك الفضل من الله, وتلك الشهادة من رسول الله ﷺ ، بل قدم سلامة الصدر من الغش والحسد ونحوه تجاه أحدٍ من المسلمين، وهذه السلامة للصدر هي من أخلاق المحبة المهنية.

مظاهر المحبة المهنية:

استئذان المرؤوس من الرئيس في المهنة:

الاستئذان من الرئيس في المهنة مطلوب, وهو من خلق اللياقة المهنية, ومن شأنه أن يحقق وينمي المحبة بين الرئيس ومرؤوسيه, كما أن عدم الاستئذان وتجاهل المسؤول فيه ما فيه من الكبر, ويؤدي إلى التنافر والتباغض بين الأطراف, فالإسلام يعلم المسلمين هذا الخلق الرفيع . قال تعالى عن **الاستئذان بصفة عامة**: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] , وفي الحث على **الاستئذان من الرئيس خاصة** يقوله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ, إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ, فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] . ودلالة الآية على أدب الاستئذان واضحة .

إفشاء السلام ورده:

إلقاء السلام مندوب إليه شرعاً، لقوله ﷺ : "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم".

وأما الرد فواجب؛ لعموم قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}

السلام من عوامل زرع المحبة بين الناس، كما أخبر النبي ﷺ في الحديث السابق, ومن ثمَّ كان مطلوباً شرعاً.

الإحسان إلى زميل المهنة:

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}

وجه الدلالة أن الله سبحانه أمر المؤمن بالإحسان إلى الجار ذي القربى, وهو من كان بينهما قرابة النسب، وقيل: الزوجية. كما أمر بالإحسان إلى الجار الجنب, وهو الجار الغريب ليس من القوم أو القبيلة, وقد نزل بينهم, وكذلك أمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب, وهو رفيق السفر أو الضيف, وزميل المهنة يجب الإحسان إليه, والرفق به في المعاملة.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين: "جملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على

جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين".

وقد وردت نصوص كثيرة من الشرع في بيان حق الجار:

قوله ﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

وقوله ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن". قالوا: من يا رسول الله؟ قال: "من لا يؤمن جاره بوائقه".

فهذان الحديثان يبينان بجلاء حق الجوار في الإسلام، ويلحق بهما زميل المهنة، لأنه جار في العمل, فينبغي أن يعامل بنفس القدر من الاحترام والرحمة والإحسان التي هي من خصال المحبة المهنية.

المحاضرة الرابعة عشرة محذوفة

جداول مختصرة للمحاضرات 9+10+11+12+13 لمن أراد الاختصار وهي للمواضيع

الطهارة المهنية , الاستقامة المهنية , التعاون المهني , الأمانة المهنية , المحبة المهنية

الطهارة المهنية				
تعريفها	أقسامها	شروطها	الأدلة	مظاهرها عند الفقهاء
النظافة والنقاء والتنزه عن الأقذار, ومعناها (السمعة الطيبة, والسيرة الحميدة, وجودة الأداء والإتقان)	**حسية** إزالة النجس **معنوية** تتحقق بترك الذنب	• صفحة بيضاء في سجل المهنة • الالتزام بالقواعد المنظمة لممارسة المهنة • امتلاك الخبرة المطلوبة • اتقان المهنة	{صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا...الآية} { وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً} (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) (مثل الجليس الصالح وجليس السوء) (من غش فليس منا)	• بطلان تولية الفاسق القضاء • تحريم تولية الجاهل القضاء • كراهة تولية المفضول القضاء • الإمامة في الصلاة، • الولاية في النكاح، • الولاية على المال • للقُصَّر(المجنون والسفيه واليتيم)، • ناظر الوقف، • ولاية الحسبة

الاستقامة المهنية

تعريفها	أقسامها	شروطها	الأدلة	مظاهرها عند الفقهاء
الثبات والدوام والملازمة والاستمرار الاعتدال والاستواء		حرص كل واحد من الطرفين على الآخر(العامل ورب العمل) مطاوعة الزملاء طاعة الرؤساء عدم التغيب عن العمل إلا في حالات الضرورة الالتزام بمنهج الشورى الالتزام بالصدق	"يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا" {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ} {وأمرهم شورى بينهم} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ...الآية] {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} حديث"قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ. قَالَ: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ" "اسمعوا وأطيعوا، وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي ما أقام فيكم كتاب الله" "غبن المسترسل حرام" {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...} {ويل للمطففين}	العدل في المعاوضات المالية العدل في المكيال والميزان الالتزام بمتطلبات المهنة وبأدائها على وجهها المطلوب الشورى(مراجعة أهل الاختصاص والخبرة)

التعاون المهني

تعريفه	أقسامه	شروطه	الأدلة	مظاهره عند الفقهاء
المساعدة على أداء المهنة المساعدة في إيجاد المهنة, وأداء مهامها بروح الفريق الواحد	تسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره بين أطراف المهنة الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس	استحضار معني الأخوة مع زملاء المهنة إنكار الذات السماحة في المنهج الصبر على المكاره بذل النصيحة المنافسة الشريفة	{إنما المؤمنون أخوة} "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه". "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى" {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} "الدين النصيحة"، "من قتل قتيلاً، فله سلبه"(يعني في المعركة) {وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ} {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم". "المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه...الحديث" "لا يخطب أحدكم على خِطبة أخيه, ولا يبع على بيع أخيه, إلا بإذنه". "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا...الحديث"	الإقالة في العقود(فسخ العقد وإبطاله برضا الطرفين) عدم الخطبة على خطبة أخيه وعدم البيع على بيعه التصريح بما في السلعة من العيوب

الأمانة المهنية

تعريفها	أصولها	شروطها	الأدلة	مظاهرها عند الفقهاء
عكس الخيانة، وتفيد الأمن والاطمئنان وعدم الخوف الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها وعدم الخيانة فيها	ما يخص حقيقة المهنة (بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة) ما يخص التصرف في المهنة(بالحفاظ على مصالح المهنة الحقيقية) ما يخص وسيلة المهنة(في الوصول إليها أو في أدائها)	الحفاظ على أسرار المهنة التزام الرشد في التصرف سلوك السبل المشروعة التي تحفظ شرف الوسيلة وشرف المقصد	{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...الآية} {وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ} {وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} "وإذا أؤتمن خان" "أد الأمانة إلى من ائتمنك" "مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ" "هدايا العمال غلول" "من استعملناه منكم على عمل ...الحديث)	المنع من استغلال المهنة (لتحقيق مصالحه الشخصية) المنع من الغش في المهنة والغلول في الأصل: أخذ شيء من مال الغنيمة أو المال المشترك قبل القسمة، وسمي هذا غلولاً، لما فيه من نقض العهد، وخيانة الأمانة الحجر على السفيه تحريم التصرية(ترك حلب الدابة مدة من الزمن...الخ) تحريم النجش(يبدي الشخص رغبة في شراء سلعة...الخ)

المحبة المهنية

تعريفها	أنواعها	أصولها	شروطها	الأدلة	مظاهرها عند الفقهاء
الميل والود والإيثار	حب عقيدة وإيمان(حب الله وحب الرسول وحب القرآن) حب فطرة وطبع(حب الولد والمال...) حب تقدير وإعجاب(حب قادة جيوش المسلمين) حب مصلحة ومنفعة(حب من قدَّم يد العون والمساعدة) حب الرذائل وحب السماتة (حب الشر للأعداء، أو حب الفواحش والرذائل)	التوادد بمراعاة آداب اللياقة في علاقات المهنة التراحم بالإحسان إلى زملاء المهنة والمنتفعين منها التعاطف من خلال الإيثار لمصلحة المهنة	تقديم مصلحة المهنة على سائر مصالحه الحياتية الأخرى(تكون مهنته هي الشغل الأهم) الانتصار للمهنة بالدفاع عنها وعن العاملين فيها ومنع الظلم(إذا أحب مهنته وكان مخلصاً لها متفانياً في محبتها) إفشاء السلام لنشر المحبة بين الناس وخصوصاً زملاء المهنة الواحدة طلاقة الوجه بشكل دائم الاعتناء بالنظافة الشخصية واختيار الزي المناسب لطبيعة المهنة إكرام ذوي الهيئات إراحة العاملين في المواصلات والمواعيد والإقامة الإيثار وتقديم مصالح الآخرين(بحرم الشخص نفسه ويقدم مصلحة الآخرين)	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ] "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان...الحديث) {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ...الآية) {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} (مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ...الحديث) (« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا...الحديث) "كل معروف صدقة ... ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق" {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود" حديث (...فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ...الحديث) {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ} {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"	استئذان المرؤوس من الرئيس في المهنة إفشاء السلام ورده الإحسان إلى زميل المهنة

انتهى بحمد الله وتوفيقه

اخوكم

طموح شايب

دعواتكم